أضواء على الأسرى عند العرب في العصر الجاهلي

د. عبد المعطي بن محمد عبد المعطي سمسم

جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية

تمهيد:

لا شك أن الطبيعة لعبت دوراً بارزاً في حياة العرب، وأثرت في حياتهم السياسية والاجتماعية، فطبيعة أرضهم القاحلة، حددت لهم سبل معيشتهم، وجعلت من مهنة رعي الأغنام والإبل، مهنتهم الرئيسية، ودفعتهم في سبيل الحفاظ عليها إلي تتبع موارد المياه ومواطن الكلأ لرعي ماشيتهم، والانتفاع منها، حتى إذا ما أصابها الجفاف، والقحط، وقلة الأمطار لجئوا إلى الإغارة والغزو ودفعتهم للحرب، وجعلت منه محارباً ، وجعل من تلك الحروب والمعارك، عادة مألوفة وسنة معروفة " يثيرها لأوهن الأسباب، ويشنها لأدنا الأحداث " [(١)].

إلا أن ذلك لا ينفي السمات الشخصية التي تفرد بها العربي من حماية الجار، والنفر من العار، والأخذ بالثأر، والاعتزاز بالعصبية القبلية والقرابة، والمفاخرة والمناظرة، والإباء، والشمم، وعلى أية حال، فلقد كان للعرب الكثير من الوقائع العظيمة التي هاجت قبائلهم وأثارت عصبيتهم، وتحدث عنها شعرائهم، وعرفت في مصادرهم" بأيام العرب "، التي كانت لهم مآثر الجاهلية ومكارم الأخلاق السنية [(٢)].وكانت بحق مصدراً خصيباً ، لتأريخهم، بما اشتملت عليه

---

(١) عبد الله عبد الجبار، محمد عبد المنعم خفاجي، قصة الأدب في الحجاز في العصر الجاهلي، ط ١ (القاهرة، ١٩٥٨)، ص ٤٠٧ وصل به الحال إلى التأفف من أن يرتزق إلا من عمل سيفه، وأسنة رماحه، حتى ولن كان من أقرب الناس إليه يقول الشاعر القطامي،

ومن تكن الحضارة أعجبته ... فأيَّ رجال باديةٍ ترانا

ومن ربط الجماس فإن فينا ... قناً سُلُباً وافراساً حسانا

وكن إذا أغرن على جناب ... وأعوزهن نهب حيث كانا

أغرن من الضباب على حلول ... وضبه إنه من حان حانا

وأحياناً على بكراً أخينا ... إذا ما لم نجد إلا أخانا

انظر عبد الله عبد الجبار، محمد عبد المنعم خفاجى، المرجع نفسه، ص ٢٠٧-٢٠٨.

(٢) عبد الله عبد الجبار، محمد عبد المنعم خفاجى، المرجع نفسه، ص ٤٠٨- ٤٠٩.

من طرائف القصص والوقائع والإحداث، وتعد مرآة صافية لأحوالهم ومصدر توثيق لحياتهم في الحرب والسلم، والاجتماع والفرقة، وفي الأسر والفداء، والنجعه والاستقرار بالإضافة إلى كونها مرآة صادقة أيضاً لفضائلهم، وشيمهم في الدفاع عن أعراضهم، والوفاء بالعهود، والحمية والصبر في القتال، والصدق عند اللقاء[٣].

وسميت حروبهم أياماً لأنهم،كانوا يحاربون نهاراً ، حتى إذا حنى الليل أوقفوا القتال حتى الصباح [٤]. فالحرب بالنسبة للعرب في العصر الجاهلي [٥]، منهاج حياة، وحب القتال مغروساً مغروساً في نفوسهم، مع حب السيطرة والغلبة، والوصول إلى ذلك بشتى الطرق حتى وإن كانت عن طريق البغي والبطش والعدوان، وأن الميتة الكريمة في نظرهم هي الميتة في ميدان القتال [٦]، ولقد اتسمت حروبهم بالكر والفر فيهجمون على عدوهم ثم يتراجعون مسرعين وكأنهم فروا

---

(٣) محمد أحمد جاد المولى، وآخرون، أيام العرب في الجاهلية (دمشق د.ت.)، ص د؛ أحمد أمين، فجر الإسلام، ط ١٣ (القاهرة، ١٩٨٢م)، ص ٦٦.

(٤) شوقي ضيف، العصر الجاهلي، ط٨ (القاهرة، ١٩٧٧م)، ص٦٤؛ توفيق برو، تاريخ العرب القديم، (دمشق، ١٤٠٤هـ)، ص ٣٧. "جعلوا حروبهم وسيلة من وسائل معيشتهم، ونظموا غزوهم في شكل كتائب حربية، وكانت كل قبيلة مستعدة دائماً للحرب، والكر والفر، والإغارة على من حولها من البدو والحضر، واتسمت بطابع حربي يقوم على سفك الدماء، فهم دائماً قاتلون مقتلون لا يفرغون من دم إلا إلى دم ". انظر شوقي ضيف، المرجع السابق، ص ٦١ – ٦٢.

(٥) الجاهلية، المفاخرة بالأنساب والتباهي بالأحساب، والكبر، والتجبر، وغير ذلك من الأفعال والأعمال التي نقضها الإسلام التي تدل على الخضوع والطاعة، والتحلي بالأخلاق الحميدة، وهي المقصودة هنا ولا تعني الجهل الذي هو ضد العلم. انظر جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط٢ (بيروت ١٩٧٦م)، ج ١، ص ٣٧؛ شوقي ضيف، المرجع السابق، ص ٣٨-٣٩.

(٦) محمد الخطيب، المجتمع العربي القديم (دمشق، ٢٠٠٥م)، ص١٧٤. لقد كان العربي ينظر إلى أن الظلم والبغي هما الطريقة المثلى إلى تحقيق الحق، فالقوة، والحق يكملان بعضهم البعض، كما يستدل على ذلك من شعرهم. يقول، عمرو بن كلثوم،

إذا ما الملك سام الناس خسفاً ... أبينا أن نقر الذل فينا

لنا الدنيا ومن أمسى عليها ... ونبطش حين نبطش قادرينا

بغاة ظالمين وما ظلمنا ... ولكن سنبدأ ظالمينا

ويقول زهير بن أبي سلمه،

ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه ... يهدم ومن لا يظلم الناس يظُلم

خوفاً ، ثم لم يلبثوا أن يعاودوا الكرة [٧]، ومع ذلك فقد كانت العرب تقول: " إن الحرب غشوم " لأنها تنال غير الجاني، وتصيب أناساً لا علاقة لهم، ولا صلة، ولا تفرق بين الجاني وبين ما لا ذنب له [٨]، وعادة ما تسمى حروبهم (أيامهم) بأسماء المواقع والأماكن التي قامت عليها، أو بأسماء الآبار والجبال، أو الأودية التي نشبت حولها، أو بأسماء من أحدث إشعالها، كالبسوس أو داحس والغبراء[٩].

أن من الأهمية بمكان الإشارة إلى أن أيام العرب دونت بشكل غير منسق أو مبوب لا على حسب وقوعها ولا على حسب حدوثها، كما أننا لا نجد حصر لأعدادها، فهناك من جعلها ٧٥٠يوماً ، أو ١٢٠٠ يوم، ويقال أن أبي الفرج الأصفهاني ألف كتابا جمع فيه أكثر من ١٧٠٠ يوم من أيام العرب [١٠].كما جاء عن ابن الأثير[١١]. غير أنه لم يذكر من أيام العرب إلا المشهورة، معللاً ذلك بأنه سار على منهج الطبري، الذي لم يذكر إلا المشهور من أيام العرب وترك ما دون ذلك، بقوله " ونحن نذكر الأيام المشهورة والوقائع المذكورة التي اشتملت على جمع كثير وقتال شديد، ولم أعرج على ذكر غارات تشتمل على النفر اليسير لأنه يكثر ويخرج عن الحصر ".

ويقول عمرو بن معد يكرب،

وقـــــرب للنطـــــاح الكبشـــــي يمشـــــي وطـــــاب المـــــوت مـــــن شـــــرع ووردج

انظر محمد الخطيب، المرجع نفسه، ص ١٧٤؛ توفيق برو، المرجع السابق ص ٢٦١.

(٧) محمود شكري الألوسى، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، شرح محمد بهجة الأثري، ط٢ (بيروت، د.ت.)، ج٢، ص ٥٦-٥٧؛ محمد الخطيب، المرجع السابق، ص ١٨٠.

(٨) أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، تحقيق وتعليق بركات يوسف هبود، ط١ (بيروت، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م)، ج١، ص١٦٢؛ الألوسي، المرجع السابق، ج٢، ص٥٦-٥٧؛ محمد الخطيب، المرجع السابق، ص ١٨٠.

(٩) شوقي ضيف، المرجع السابق، ص ٦٥.

(١٠) محمد أحمد جاد المولى، المرجع السابق، المقدمة، عمر فروح، العرب في حضارتهم وثقافتهم، ط ٢ (بيروت، ١٩٨١م)، ص ٦٢؛ جواد على المراجع السابق، ج ٥، ص ٣٤١-٣٤٢؛ توفيق برو، المرجع السابق، ص ٢٠٥.

(١١)ابن الأثير، علي بن محمد الشيباني، الكامل في التاريخ، ط ٣ (بيروت، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م)، ج١، ص ٢٩٨-٢٩٩.

وعلى كلٍّ فهذه الأيام ليست حروباً بالمعنى المفهوم للحرب كما يرى جواد علي، وانما[١٢] عبارة عن مناوشات ومهاترات وغزوات، وأيام وقعت في سنين سرعان ما تنتهي بانتهاء المشكلات التي نشبت من أجلها، وقد تكون نتيجة ظروف طبيعية واقتصادية واجتماعية، أجبرتهم على خوضها، كارهين أو مختارين، فهي لازمة عليهم للحفاظ على حياتهم وتأمين رزقهم، وتناولتها كتب الإخباريين بحسب أهميتها.

ولقد ذكر الباحثون أن ما وصلنا من تلك الأيام يمكن جعله في الفترة القريبة من بعثة المصطفى صلى الله عليه وسلم في حدود مائة وخمسين عاماً من بزوغ فجر الدعوة الإسلامية[١٣].

ولعل من الأهمية بمكان الإشارة إلى ارتباط الشعر الجاهلي [١٤]، في جملته وتفصيله بأيام العرب ارتباطاً تاماً ، فالفرسان يناضلون بسيوفهم، ومن خلفهم الشعراء يطلقون ألسنتهم في

---

(١٢) جواد علي، المرجع السابق، ج٥، ص ٣٤٣ – ٣٤٤. وهي عادة ما تكون حروب علنية يسبقها نزاع أو مشاحنات، أو سرايا عرفت بالغارات، حيث يؤخذ القوم على حين غفلة، ولعلها تنحصر في الأسباب التالية، اقتصادية، نتيجة ندرة المياه والكلأ، أو سياسية، للاستئثار بالحكم والسيطرة، أو بتحريض وتدخل خارجي، من قبل الفرس أو الروم، أو أسباب أخرى مختلفة منها دفاع عن الكرامة أو الشرف، والرد على الاعتداء على الضيف أو الحليف، ورد للظلم، أو للثار . يقول تأبط شر،

قليل غرار النوم أكبر همه ـم الثأر أو يلقى كمياً مسفعاً

أو قد تكون بسبب نزاع بين أفراد من قبيلتين،يبدأ صغيراً ثم لم يلبث أن يكبر ليصل للعشائر، والقبائل والأحلاف. انظر شوقي ضيف، المرجع السابق، ص ٦٣؛ عبد الحميد حسين حمودة، تاريخ العرب قبل الإسلام (القاهرة، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م)، ص ١٧٨.

(١٣) جواد علي، المرجع السابق، ج٥، ص ٣٤١-٣٤٢؛ عمرو فروح، المرجع السابق، ص ٦٢؛ توفيق برو، المرجع السابق، ص ٢٥. وبما أن هذه الدارسة قد ارتبطت في مصادرها على الشعر الجاهلي، وأيام العرب، والتي وصلني معظمها في الفترة القريبة من بعثة المصطفى صلى الله عليه وسلم، وهي فترة في حدود مائة وخمسين عاماً قبل الإسلام، وهو العصر الذي ورثنا فيه الشعر الجاهلي واللغة وتكامل فيه نشوء الخط العربي وتشكله تشكل تاماً ، حيث يتجه الباحثين في الأدب الجاهلي إلى عدم التوسع في الزمن إلى أبعد من قرن ونصف القرن من البعثة النبوية، ويكتفون بهذه الحقبة التاريخية، وقد يرتبط ذلك فيما ذكره الجاحظ، "... أما الشعر (العربي) فحديث الميلاد صغير السن، أول من نهج سبيله، وسهل الطريق إليه امرؤ القيس بن حجر ومهلهل بن ربيعة، فإذا استظهرنا الشعر وجدناه – إلى أن جاء الله بالإسلام – خمسين ومائة عام، واذا استظهرناه بغاية الاستظهار فمائتي عام " انظر أبو عثمان بن عمرو بن حجر الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبدا لسلام هارون، ط ١ (بيروت، د.ت.)، ج١، ص ٧٥؛ شوقي ضيف، المرجع السابق، ص ٣٨-٣٩.

خصومهم وأعدائهم. فكانت تلك الأيام ملهمة الشعراء اللذين أطلقوا لأنفسهم تسجيل أيام العرب شعراً بكل جوانبها، السياسية، والحربية والأدبية [١٥]. مع الأخذ في الاعتبار أن الشعر الجاهلي لا يغطى إلا فترة قصيرة من حياة العرب قبل الإسلام، كما أنه ليس بالضروري أن كل القصائد التي وصلتنا قصائد أصيلة، أو أن أي بيت من أبياتها هو بيت أصيل، فاحتمال التغيير والتقصير والإضافة أمر وارد [١٦].

وعلى كل فقد كانت أيام العرب مآثر الجاهلية ومكارم الأخلاق السنية فقد قيل لبعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم: ما كنت تتحدثون به إذا خلوتم في مجالسكم ؟ قالوا: كنا نتناشد الشعر، ونتحدث بأخبار جاهليتنا [١٧].

وفي هذه الدراسة يهدف الباحث من خلال دراسة أيام العرب في العصر الجاهلي إلى التعرف على أحد أهم أهداف ونتائج تلك الأيام وهو الأسرى، لما لهذا الهدف من مكانة خاصة لدى محاربي القبائل العربية في ذلك العصر، حيثلعب دوراً هاماً في حياتهم السياسية والاجتماعية وكان لأخذ الأسير ومعاملته، وإطلاق سراحه (فدائه)حدثاً هاماً من أحداث تلك الأيام، في محيط جزيرتهم[١٨]. ويجد الباحث أنه من الأهمية قبل الحديث عن أخذ الأسير ومعاملته التعرف على لفظة أسير.

---

(١٤) واجهة الشعر الجاهلي اعتراضات كثيرة أثارها بعض الباحثين حوله وصلت لجعله منحولاً ولا ينتمي للفترة، إلى سبقت الإسلام وأنه موضوع في القرنين الثاني والثالث الهجري، إلا أن من المسلم به أن الشعر الجاهلي حفل بمواضيع كثيرة وهو في مجملة قد عرض على القدماء، وتعرض للنقد الشديد نقد داخلي وخارجي، وبذلك فقد أحاطوه بسياج محكم من التحري والتثبيت. انظر لطفي عبد الوهاب يحيى، العرب في العصور القديمة " مدخل حضاري في تاريخ العرب قبل الإسلام " (بيروت، ١٩٧٩م)، ص ٢٤٤-٢٤٥؛ محمد أحمد جاد المولى، المرجع السابق، ص س؛ شوقي ضيف، المرجع السابق، ص ١٧٥.

(١٥) عبد الله عبد الجبار، و عبد المنعم خفاجي، المرجع السابق، ص ٤٠٩- ٤١٠.

(١٦) لطفي عبد الوهاب يحيى، المرجع السابق، ص ٢٨٠، ٢٨٢.

(١٧) ابن عبد ربه، المصدر السابق، ج ٥، ص١٢٢.

(١٨) أن الحدود الجغرافية للجزيرة العربية، كما وردت في معظم كتب الجغرافية العرب وكذا الإخباريين المسلمين يمكن حصرها في تلك الرقعة الواسعة ببقاعها المتباينة، وبئاتها الطبيعية المختلفة، والتي كان تشكل مواطن متعددة، إلا أنها شكلت وطناً واحداً متماسكاً، ما بين البحر الهندي جنوباً، وبلاد الشام شمالاً، وخليج فارس (العربي) ونهرى دجله والفرات شرقاً، والبحر الأحمر – ونهر النيل –غرباً في هذه الرقعة من العالم عاشت هذه الأمة العريقة، في أغواره، ونجاده، وفي سهوله وعلى قمم جباله، وفي أجواف صحاريه وسواحل بحارة. أنظر. ياقوت الحموي، معجم

فكلمة أسر جاءت في الصحاح بمعنى:سَلَر قَتَبةُ أَسِرُه أَسْواً شَدَّه بالإسار، وهو القدُّ ومنه سَمَّى الأسيُر، وكانوا يشدونه بالقَدِ، فسُمَّى كل أخيذ أسيراً وإن لم يُشَدَّ به، ويقال: أسْرتُ الرجلَ أسراً وإساراً، فهو أسير ومأسور، والجمع أسرى وأسارَى، وتقول العرب: اسْتأْسِرْ، أي كنْ أَسِيراً لِي، ويقال: هذا الشيء لك بأسرِه، أي بقدَّه، تعنى بجميعه [١٩]، أي برمته. وفي المعجم الوسيط: جاءت لفظه أَسَره – أسْراً وإسارا: قيده – أخذه أسيراً واستأسره:أخذه أسيراً – له استسلم لأسره، والإسار: ما يقيد به الأسير والأسير: المأخوذ في الحرب، أسراء – وأسارى [٢٠] وفي الاصطلاح الأسير هو من وقع في قبضة الأعداء من الرجال المحاربين[٢١]، وتطلق أيضاً على من يقع في يد الأعداء، ويؤخذ من غير قتال ولا مقاومة على أثر اكتساح جيش أو غزوة لمكان ما [٢٢]، كما أن هناك من يرى أن الأسر والسبيء بمعنى واحد [٢٣].

التفاخر بأخذ الأسرى

لقد تفاخر العرب بأخذ الأسرى واعتبروا ذلك عنوانا للنصر والمفاخرة، كما نستنتج ذلك من أشعارهم وأخبارهم، حيث يقول عمرو بن كلثوم متفاخراً بعودة قبيلته ظافرة بعد الحرب يسوق الأسلاب والأسرى والسبايا.

ركنا الأيمنين إذا التقينا وكان الأيسر ين بنو أبينا

فصالوا صولة فيمن يليهم وصلنا صولة فيمن يلينا

البلدان، تحقيق فريد الجندي، ط ١(بيروت، ١٤١٠هـ)، ج ٢، ص١٥٩؛ الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، صفة جزيرة العرب (الرياض، ١٣٩٤م– ١٩٧٤م)، ص ٥٧؛ ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، ط ٤ (القاهرة، ١٩٦٩م)، ص ١–٢.

(١٩) إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط٢(١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م)، ج٢، ص٥٧٨.

(٢٠) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ج١، ص١٧. وعرفت في السبئية بـ" أخذ " في حالة المفرد " وبأخذتم" " وأخذت " و" أخذيت" في حالة الجمع، كما جاءت في النصوص الأشورية بلفظه أسر Esira، وتعنى الإحاطة أو الحبس، وبهذه اللفظة وردت عند العبرانيين. انظر جواد علي، المرجع السابق، ج٥، ص ٤٦٤، محمد محمود جمعة، النظم الاجتماعية والسياسية عند قدماء العرب والأمم السامية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٩٩م، ص٣٧.

(٢١) أحمد محمد الحوفي، الحياة العربية من الشعر الجاهلي (بيروت، ١٩٧٢م)، ص ٢٦٤.

(٢٢) جواد علي، المرجع السابق، ج٥، ص ٤٦٤.

(٢٣) احمد محمد الحوفي، المرجع السابق، ص ٢٤.

فـــــــآبوا بالنهـــــــاب وبالســـــــبايا وأبنـــــا بابنـــــا الملـــــوك مصـــــفدين[٢٤]

ويقول المهلهل بن ربيعة:

فجـــــاءوا يهرعـــــون وهـــــم أســـــارا نقـــــودهم علـــــى رغـــــم الأنـــــوف

ويقول عمرو بن المكعبر الضبى بعد انتصار بني ضبة على بن شيبان في يوم الشقيفة (نقا الحسن)، وأسر أكثر من سبعين من بني شيبان:

أطلقـــت مـــن شـــيبان ســـبعين راكبـــاً فـــآبوا جميعـــاً كلهـــم لـــيس يشـــكر

إذا كنـــت فـــي إفنـــاء شـــيبان منعمـــاً فجـــز اللحـــى ولن النواصـــيتكفُـــر

فـــلا شـــكرهم أبغـــى إذا كنـــت منعمـــاً ولا ودهـــم فـــي آخـــر الـــدهر أضـــمر[٢٥]

وكذلك يتفاخر زهير بن جناب الكلبي بعد انتصاره على بني بكر وتغلب في حربه ضدهم، لرفضهم دفع الخراج له، ومحاولتهم قتله، فأسر جماعة من فرسانهم و وجوهم ..

فأنشد يقول:

أيـــن أيـــن الفـــرار عـــن حـــزر المـــوت أو يتقـــون بالأســـلاب ؟

إذ أســـــرنا مهلهـــــلاً وأخـــــاه وابـــن عمـــرو فـــي القيـــد وابـــن شـــهاب

وســـبينا مـــن تغلـــب كـــل بيضـــاء رقـــود الضـــحى بـــود الرضـــاب

وأســـتدارت رحـــى المنايـــا علـــيهم بليـــوث مـــن عـــامر وجنـــاب

فهـــم بـــين هـــارب لـــيس يـــالو وقتيـــل معفـــر فـــي التـــراب

فعتـــل العـــز عزنـــا حـــين نســـمو مثـــل فضـــل الســـماء فـــوق الســـحاب[٢٦]

وكذلك تفاخروا في أحاديثهم وأخبارهم، يقول أكثم بن صيفي ألأسدي في إحدى خطبه: " وأهنأ الظفر كثرة الأسرى " [٢٧].

---

(٢٤) أبن الأثير، المصدر السابق، ج١، ص٣٠٥؛ أحمد محمد الحوفي، المرجع السابق، ص ٢٦٥

(٢٥) ابن الأثير، المصدر السابق، ج١، ص ٣٧٥؛ أحمد محمد الحوفي، المرجع نفسه، ص ٢٦٤.

(٢٦) ابن الأثير، المصدر السابق، ج١، ص ٢٩٩ – ٣٠١

(٢٧) محمد أحمد جاد المولى، المرجع السابق، ص ١٢٦؛ أحمد محمد الحوفي، المرجع السابق، ص ١٢٦.

معاملة الأسرى

وقد اختلفت معاملة الأسرى ما بين القتل والتعزير، لذا يلمس الباحث عند الوقوف على معاملة الأسرى، أن من الأهداف الرئيسية لأستأسار الأسير هو الحصول على الفدية مقابل أطلاقه وخاصة العينية (المال)، إلا أن في كثير من الأحوال ما يقتل الأسير مباشرة، أو يعذر حتى الموت أو يعذب حتى يفتدي نفسه فيطلق سراحه، أو يجد من يشفع له لإطلاقه من الأسر، و في كثير من الأحيان يجد الأسير الإحسان من قبل آسره حتى إطلاقه. وفي الصفحات التالية يرصد الباحث أوجه تعامل العرب مع أسراهم بأشكالها المتباينة، وهي على النحو التالي:

أ) قتل الأسرى:

نقلت لنا المصادر التاريخية أحداث ووقائع عن قتل الأسير، أما للثأر أو لعدم دفع الفدية، أو خشية أن يعيد عليهم الكرة، خاصة أن كان من الفرسان المشهود لهم بالقتال.

فلقد ذكر أن في يوم " اوارة الأول" [٢٨] حارب المنذر بن ماء السماء، بكر بن وائل لخلعهم طاعته، وإقامتهم سلمه بن الحارث بن عمرو الكندي عليهم، فأرسل لهم المنذر بالطاعة، فأبو؟ فما كان إلى أن خرج إليهم بجيش كبير وأقسم أن هو ظفر بهم أن يذبحهم على قمة (قلة) جبل اوارة، حتى يبلغ الدم الحضيض. فوصل إليهم، وقاتلهم قتالاً شديداً ، وانهزمت بكر، وأسر المنذر منهم أعداد كثيرة، فأمر بذبحهم على جبل أوارة، ليبر بقسمه، علاوة على من قتل في المعركة نفسها[٢٩].

وكذلك أغار المنذر بن النعمان بن امرئ ألقيس، على امرئ ألقيس بن حجر وأخوته، وهم في صيد فأصاب منهم اثني عشر رجلا من بني حجر فأمر بضرب أعناقهم [٣٠].

---

(٢٨) يوم أوارة الأول، بين ملوك الحيرة، وبنى بكر بن وائل في عهد المنذر بن ماء السماء على بكر واوارة، اسم جبل لبنى تميم. انظر ابن الأثير، المصدر السابق، ج١، ص ٣٣٤؛ محمد أحمد جاد المولى، المرجع السابق، ص ٩٩.

(٢٩) أبى الفرج على بن الحسين الأصفهاني، ، الأغاني، تحقيق إحسان عباس وآخرون، ط ٢(بيروت، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤ م)، ج١٧، ص ١٨٧.

(٣٠) ابن الأثير، المصدر السابق، ج١، ص؛ محمد أحمد جاد المولى، المرجع السابق ص ٩٩؛ محمد أحمد الحوفي، المرجع السابق، ص ٢٦٦؛ السيد عبد العزيز سالم، دراسات في تاريخ العرب " تاريخ العرب قبل الإسلام (الإسكندرية د.ت.)، ص ٣٤٢.

وغزا زيد الخيل الطائي بني عامر، ثأراً لرجل من طي يقال له ذؤاب بن عبد الله، قتلته بن عامر وهو في طريقة إلى زيارة صهر له من هوازن[٣١]، فكان زيداً كلما أخذ أسيرا ً من بني عامر قال له: ألك علم بالطائي المقتول ؟ فإن قال نعم، قتله، وإن قال: لا خلى سبيله ومنَّ عليه[٣٢].

وفي يوم " حُجر " أسر حجر بن الحارث بن عمرو، من قبل بني أسد بعد أن غدروا به مع بعض أصحابه، وهو يطالبهم بالطاعة له، وتشاورا على قتله فتقدم إليه أحد غلمان بني كأهل من بطون أسد نحوه لثأر بينه لمقتل أبيه فطعن حجر فقتله، وكان حجر أسيراً عندهم[٣٣]. ويروا أن غطفان قتلت أربعة وثمانين رجلاً كانت قد أسرتهم من بني عامر في يوم " الرقم "[٣٤].

كما قتلت بني أسيد بن عمرو من تميم، وائل بن صريم اليشكري من بكر بن وائل بعد أسره [٣٥] كما قتُل النصيب السلمي بعد أسره من قبل عمران بن مرة الشيباني[٣٦].

وأسر لام بن سلمة ابن مزنه، من الحوثرة بن قيس بن كلاب، ودفعه إلى عتيبة بن الحارث بن شهاب بن ثعلبة، في يوم " الرغام " فقام بقتله (ضرب عنقه). [٣٧]

وفي يوم " الكلاب الثاني " انتصرت تميم على مذحج وأسر في هذا اليوم عبد يغوث بن صلاءة سيد بني الحارث، من قبل فتى من بني عمير بن عبد شمس [٣٨]، وحاول عبد يغوث أن

---

(٣١) محمد أحمد الحوفي، المرجع السابق، ص٢٦٥، نقلاً عن مهذب الأغاني، ج١، ص ٧٥.

(٣٢) الأصفهاني، المصدر السابق، ج ١٧، ص ١٨٧.

(٣٣) كان حجر بن الحارث بن عمرو ملك على أسد وغطفان، من قبل أبيه الحارث بن عمرو ملك كندة، والحيرة، في عهد قباذ ملك الفرس، فخرج لقتال بني أسد لرفضهم دفع الإتاوة السنوية، وقاتلهم قتلاً عنيفاً حتى أجلاهم عن أرضهم إلى تهامة، ثم أعادهم، وأقام أبنه حجر عليهم، وعندما مرض الحارث خرج إليه ابنه حجر، وبقي معه حتى وفاته. ثم عاد إلى بني أسد فأبوا طاعته، فحاربوه ووقع في أسرهم مع بعض أصحابه. انظر أبى الفرج الأصفهاني، المصدر السابق، ج٩، ص٦٢ – ٦٤؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج١، ص ٣٠٤ – ٣٠٦؛ محمد أحمد جاد المولى، المرجع السابق، ص ١١٢ –١١٥.

(٣٤) ابن عبد ربه، المصدر السابق، ج٥، ص١٤٥–١٤٦، محمد أحمد جاد المولى، المرجع السابق ص ٢٧٨، ويذكر بن الأثير أن عددهم سبعين رجل. انظر ابن الأثير، المصدر السابق، ج١، ص٣٩٣.

(٣٥) ابن عبد ربه، المصدر السابق، ج٣، ص ٣٥٤؛ كاستر، المرجع السابق، ص٢٩.

(٣٦) ابن الأثير، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٧١.

(٣٧) محمد أحمد جاد المولى، المرجع السابق، ص ٣٧٠ – ٣٧١ نقلاً عن النقائص، ص ٤١٠ (طبعة أوروبا).

(٣٨) هو عصمة بن أبير التميمي أنظر، ابن عبد ربه، المصدر السابق، ج ٥، ص ٢٠٠.

يفدي نفسه بمائة رأس من الإبل فرفضت تميم، وسلمه عمرو بن سنان أحد سادات تميم إلى بني تيم لقتله، فما كان من عبد يغوث إلا أن طلب منهم أن يقتلوه قتلة كريم، فسألوه عنها فقال لهم " أسقوني خمراً ، ودعوني أنح على نفسي، فقال عصمة بن أبير: نعم، وسقاه الخمر، ثم قطع له عرقاً يقال له الأكحل، وتركه ينزف، ولم يلبث عبد يغوث أن مات[٣٩] ونقل عنه قوله: [٤٠]

إلا لا تلومـــانى كفـــى اللـــوم مـــا بيـــا فمـــا لكمـــا فـــي اللـــوم خيـــر ولا ليـــا
ألـــــم تعلمـــــا أن الملامـــــة نفعهـــــا قليـــل ومـــا لـــؤمي أخـــي مـــن شـــماليا
فيـــا راكبـــاً إمـــا عرضـــت فـــبلغن نـــداماي مـــن نجـــران أن لا تلاقيـــا

وقد لا يفرقوا في قتل الأسرى، بين الشيخ والطفل الصغير، ففي يوم " دارة ماسل" أسر شتير بن خالد الضبى،وكان شيخاً كبيراً أعور فقتله ضرار الضبى، لقتل عتبة بن شتير، حصين بن ضرار [٤١].

وفي " يوم صعفوق " فدى طريف بن تميم العنبرى أسرى بني سليط، من فروة بن مسعود من بكر، ورهن أبنه عندهم حتى يأتيهم بالفداء، فإبطاء عنهم فقتلوا ابنه، فقال طريف بن تميم:

لا تأمنن سليمى أن أفارقها أصرمى الضغائن بعد اليوم صعفوق [٤٢].

ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أن عادة قتل الأسرى كانت في أحوال قليلة فهناك إشارات واضحة بأن العرب كانوا يتفاخرون بعدم قتل الأسير، ويستقبحون ذلك [٤٣]. فها هو يزيد بن

---

(٣٩) الأصفهاني، المصدر السابق، ج ١٦، ص٢٢٧ – ٢٢٨؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج١، ص ٣٧٩-٣٨٣؛ محمد أ حمد جاد المولى، المرجع السابق، ص١٢٨-١٣١. وذكر ابن عبد ربه روايا قريبة من ذلك، ويضيف أن بني الحساس اشتروه بمائة بعير، وقيل بحوالي ٣٠ من حواش النعم و وضربوا عنقه. ابن عبد ربه، المصدر السابق، ج٥، ص ٢٠٠- ٢٠١

(٤٠) ابن عبد ربه، المصدر السابق، ج٥، ص٢٠١، ابن الأثير، المصدر السابق، ج١، ص٣٨١ – ٣٨٢.

(٤١)قيل أن ضرار خير شتير بين ثلاثة، أما أن يرد ابنه حصيناً . فقال له شتير، إني لا أنشر الموتى، قال له حصين، أدفعلي أبنك عتبة أقتله به فقال له شتير، لا ترضى بذلك بني عامر أن يدفعوا فارسهم شاباً مقبلاً بشيخ أعور هامه اليوم أو غد، فقال له ضرار، أما أن أقتلك، قال، أما هذا فنعم، فقتله ضرار. انظر ابن عبد ربه، المصدر السابق، ج ٥، ص١٦٢-١٦٣، محمد أحمد جاد المولى، المرجع السابق، ص ٣٣٠.

(٤٢) ابن عبد ربه، المصدر السابق، ج٥، ص١٨٣.

(٤٣) أحمد محمد الحوفي، المرجع السابق، ص٢٦٦؛ السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص ٣٧٢.

عبد المدان يرد على عامر بن بني مالك، وكانوا جميعاً في وفاده عند الحارث بن جفنه الغساني، حين تفاخر بقومه على بني عامر قائلاً :

" ما لهم والله جراة بني الحارث، ولا فتك مراد، ولا بأس زبيد، ولا مغائر طي، وما هم ونحن. يا خير الفتيان بسواء، ما قتلنا أسيراً قط، ولا اشتهينا حرة قط "

وأنشد قائلاً : (٤٤)

تمالى على النعمان قوم إليهم موارده في ملكة ومصادرة
على غير ذنب كان منهم إليهم سوى أنه جاءت عليهم مواطرة

ب) التمثيل بالأسرى:

لم تكن (المثله) بقتيل الحرب أو الأسير محرمه في قوانين العرب القدامى، فكانوا يمثلون بقتل الحرب وبالأسرى، بتقطيع أجزاء أجسادهم وتشويهها ويفعلون ذلك بالأسير حتى يقضي نحبه (٤٥).

وقد يترك الأسير دون سقيةماء حتى يهلك عطشاً ، كما فعل بنو سهم عندما أسروا عمرو بن عاصية السلمي، فقد قتلوه وهو يطلبهم الماء فمنعوه عنه حتى مات، وقد خلد ذلك شعر روته أخته ترثيه تقول فيه:

هلا سقيتم بني سهم أسيركم نفسي فداؤك من ذي غلة صادى
الطاعن الطعنة النجلاء يتبعها مفرج بعد ما جاءت بإزياد(٤٦)

وكذلك كان الحال عندما أُسر معبد بن زراره التميمي، من قبل عامر بن الطفيل ابن مالك بن جعفر بن كلاب، ورفط أخيه لقيط بن زراره أن يدفع فدائه، فبعث به إلى الطائف،

---

(٤٤) محمد أحمد جاد المولى، المرجع السابق، ص ١٢٩.

(٤٥) انظر جواد على؛ المرجع السابق، ج٥، ص٤٦٦-٤٦٧؛ محمد الخطيب، المرجع السابق، ص ١٨٧.

(٤٦) الأصفهاني، المصدر السابق، ج ١٢، ص ٧١، أحمد محمد الحوفي، المرجع السابق، ص٢٦٦

خشية أن تستنقذه تميم، وقد قطعوا عنه الماء، وشدو عليه القيد حتى هلك هزالا ومات [٤٧] وقالوا في ذلك:

قضـــينا الجـــون مـــن عـــبس وكانـــت منيـــة معبـــد فينـــا هـــذالا [٤٨]

وقد يقوموا بإحراق الأسير، كما فعل المنذر بن امرئ القيس حيث جمع أسراه في حظائر ليحرقهم، فسمى بـ أبا حوط الحظائر، وكذلك عرف ملوك الحيرة بحرق أسراهم حتى عرفوا بآل محرق [٤٩]. كما كانوا يستعملون بعض وسائل الترهيب مع الأسير لإجباره على دفع الفدية، كما كان من الجعد بن الشماخ من بني مالك بني حنظلة، عندما أسرى الصمة الجشمي من بني حنظله من بني تميم، فكان يأتيه في مطلع كل شهر بأفعى فيحلف بما يحلف به لئن هو لم يفدى نفسه ليعضنها أياه [٥٠].

وقد ذُكر كثيراً أنهم كانوا يشدون لسان الأسير إذا كان شاعراً حتى لا يهجوهم فها هو عبد يغوث يقول:

أقول وقد شدوا لساني بنسعة أمعشر تيم أطلقوا من لسانيا [٥١]

كذلك كانوا يفعلون بأسراهم أفعال أخرى مختلفة من التعذيب و والتنكيل، فقد ورد أن بنو أسيد بن عمرو التميمي عندما أسرو وائل بن صريم اليشكري، جعلوا يغمسونه في بئر، ويرددون قولهم: " يأيها السماتح دلوي دونكا " حتى قتلوه [٥٢].

---

(٤٧)ابن عبد ربه، المصدر السابق، ج ٥ ص ١٢٨-١٢٩؛ الأصفهاني، المصدر السابق، ج١١، ص٨٩ – ٩٠ ولم يذكر عطشه، ابن الأثير، المصدر السابق، ج١، ص٣٤١؛ محمد أحمد جاد المولى، المرجع السابق، ص ٢٤٧- ٢٤٨؛ جواد علي، المرجع السابق، ج ٥، ص ٣٧١.

(٤٨) ابن عبد ربه، المصدر السابق، ج٥، ص ١٢٨ – ١٢٩ .

(٤٩) ابن عبد ربه، المصدر السابق، ج٥، ص ١٨٦ – ٨٧ .

(٥٠)؛ محمد أحمد جاد المولى، المرجع السابق، ص ٢١٥-٢١٦، نقلاً عن النقائض، ص ٩١٠١ . وتقول الرواية أن لصمة بن الجشمي قتل أسره، الجعد بن الشماخ غدراً بعد أن قام الجعد بجز ناصيتة وأراد إطلاقه مقابل بعض المال فتنكر له الصمة وضرب عنقه وهرب. انظر محمد أحمد جاد المولى، نفس المرجع، ص ٢١٦.

(٥١) أبي الفرج الأصفهاني، المصدر السابق، ج١٦، ٢٢٨ – ٢٢٩؛ عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص ٣٧٣. إلا أن أحمد محمد الحوفي يرى أن ذلك قد لا يكون صحيحاً، فأن كانوا يخشون هجائه وهو بينهم فمن يروي هجائه، كما يضيف فصلاً عن القاني، في تفسيره لهذا البيت بقوله، هو مثل، لأن اللسان لا يشد بنسعة، وإنما أراد أن يقول لهم أفعلوا بي خيراً ينطلق لساني بشكركم، فإن لم تفعلوا فلساني مشدود لا يقدر على مدحكم. أنظر، محمد أحمد الحوفي، المرجع السابق، ص ٢٦٩ – ٢٧٠؛ ناصر الدين الأسد، المرجع السابق، ص ١١٠ – ١١١.

جـ) قيد الأسير:

يلمس الدارس تكرار الروايات،أن الأسير قبل أن يكون متروك الحرية في أسره إلا ما ندر، فعلى ما يبدو أنه كان يقضي معظم فترة أسرهمكبلاً في القيود. فها هو عتبة بن الحارث بن شهاب أُسر في " يوم شعب جبلة " [٥٣]فضل في قيده حتى كان يبول على قده حتى عفن[٥٤].

فقد كانوا يكبلون أيدي الأسرى، ويقيدونهم خشية الهرب، مستعملين في ذلك الحبل وبأي شيء يجدونه نافعاً في شد وثاق الأسير [٥٥]. ففي يوم " بردان " يقول: عمرو بن كلثوم بعد أن أن انتصرت تغلب على كنده، وفيه أسر أكثر من ثمانية وأربعين شخصاً من بني أكل المرار، كان فيهما اثنتين من أبناءه هما عمرو ومالك.

فآبوا بالنهاب والسبايا وابنا بأبناء الملوك مصفدين [٥٦]

ويقول مالك بن نويره، في بكر بن وائل بعد هزيمتهم من بني يربوع في يوم قحطط.

فأقررت عيني يوم ظلوا كأنهم ببطن الغبيط خشب أثل مُسند

صريع عليه الطير يحجل فوقه وأخر مكبول اليدين مقيد[٥٧]

ويقول قرة بن قيس بن عاصم:

وحمران أدته إلينا رماحنا فنازع غلاً في ذراعية أسمرا

وجثامة الذهلى قدناه عنوة إلى الحي مصفود اليدين مفكراً [٥٨]

---

(٥٢) ابن عبد ربه، المصدر السابق، ج٥، ص ١٨٦ – ٨٧ .

(٥٣) بين بن عامر بن قيس، وحلفائها من بني عبس، على تميم وحلفائها من بني ذبيان وأسد، عند جبل طويل له شعب عظيم يقال له شعب جبلة، هو من أعظم أيام العرب وأشهرها، ويقال أنه كان سنة سبع وخمسين من قبل البعثة. أنظر، محمد أحمد جاد المولى، المرجع السابق، ص ٣٤٩.

(٥٤) الأصفهاني، المصدر السابق، ج ١١، ص ١٠٧.

(٥٥) جواد علي، المرجع السابق، ج ٥، ص ٤٦٤.

(٥٦) ابن الأثير، المصدر السابق، ج١، ص ٣٠٥. ويصف إعرابي قيد الأسرى وحالهم بالتالي، "استنزلوهم عن الجياد بلينة القنا، ونزعوهم نزع الدلاء بالحبال ". انظر ابن عبد ربه، المصدر السابق، ج١، ص ٢٤٨.

(٥٧) ابن عبد ربه، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٤٨.

(٥٨) محمد أحمد المولى بك وآخرون، المرجع السابق، ١٧٦–١٧٧. وعند ابن الأثير ورد البيت التالي،

وحمران قسراً أنزلته رماحنا فعالج غلا في ذراعية مثقلا

ابن الأثير، المصدر السابق، ج١، ص ٣٧٢.

وكان الأسرى يساقون سوقاً فيه امتهان، وكانت تُضع الأغلال في أرجل الأسير لتمنعه من الحركة، وتقيد تنقلاته. يقول عمرو بن كلثوم:

لتســـــلين أفراســـــاً وبيضـــــاً وأســـري فـــي الحديـــد مقرنينـــا[٥٩]

ويقول جرير في وصف يوم رحرحان: [٦٠]

وليلـــــة وادي رحرحـــــان فـــــررتم فـــراراً ولـــم تلـــووا زفيـــف النعـــائم

تـركتم أبـا القعقـان فـي الغـل مصـفداً وأي أخ لـــم تســـلموا فـــي الأداهـــم

وبرحرحـــان غـــداة كبـــل معبـــد نكحـــوا بنـــاتكم بغيـــر مهـــور [٦١].

وعندما أسر بسطام بن قيس الشيباني قال الشاعر:

أبلـــغ ســـراة بـــن شـــيبان مالكـــه أنـــى أبـــات بعبـــد الله بســـطاما

قـــاظ الشـــربة فـــي قيـــد وسلســـلة صـــوت الحديـــد يغنـــه إذا قامـــا[٦٢]

ويقول عمير بن عمارة التميمي:

فـإن تـك يـا عويـف نجـوت منهـا فقـــدماً كنـــت منتخبـــاً مطـــارا

وكـــم غادرنـــا مـــنكم مـــن قتيـــل وآخـــر قـــد شـــددناه إســـارا[٦٣]

د) تسخير الأسير (امتهانه):

وقد يمعن في امتهان الأسير، وتسخيره تسخير العبد أي أن يعمل عمل العبد في أسره، كما يظهر ذلك في شعر المنخل اليشكرى الذي يقول فيه:

ولقـــد شـــربة الخمـــر بالعـــ بـــد الصـــحيح وبألاســـير[٦٤]

وقـــد يظـــل فـــي أســـره، وخدمـــة آســـره حتـــى يفتـــدى نفســـه [٦٥].

وقد يعرض الأسير للبيع كما يعرض العبد، إذا لم يتقدم أحد أهله لإطلاق سراحه فقد كانت

---

(٥٩) أحمد محمد الحوفي، المرجع السابق، ص ٢٦٥؛ السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق ص ٣٧٢.

(٦٠) رحرحان جبل قرب عكاظ خلف عرفات. انظر ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج٣، ص ٤١.

(٦١) ابن عبد ربه، المصدر السابق، ج٥، ص ١٢٩.

(٦٢) أحمد محمد الحوفي، المرجع السابق، ص ٢٦٥.

(٦٣) محمد أحمد جاد المولى، المرجع السابق، ص ١٧٣ هـ ٣.

(٦٤) أحمد محمد الحوفي، المرجع السابق، ص٢٦٥.

مكة مركزاً نشطاً لبيع الأسرى قبل الإسلام، في شكل تجارة منظمة تشجعها الحروب القبلية، التي كانت تشنها القبائل بين الحين والآخر [٦٦].

وعلى ما يبدوا فليس كل أسير يتقبل الإهانة، والرضوخ لما يمليه عليه أسره، فعندما أسر حاتم الطائي من قبل بكر بن وائل في غارة عليهم، فوثق به عند رجل من عنزة: فجاءته امرأة تطلب منه فصد الناقة، وقد تفاخر شاعرهم بذلك مييض العنزيمفتخراً قائلاً :

نحن أسرنا حاتماً وابن ظالم ... فكل ثوى في قيدنا وهو يجشع
وكعب أياد قد أسرنا وبعده ... أسرنا أبا حسان والخيل تطمع

إلا أن حاتم الطائي رفض ذلك قائلاً :

عالى لا تلتد من عاليه ... أن الذي أهلكت ماليه
أن أبن أسماء لكم ضامن ... حتى يؤدي أنس ناويه
لا أفصد الناقة في أنفها ... لكنني أوجرها العاليه
أنى عن الفصد لفي مفخر ... يكره من المفصد الآليه
والخيل أن شخص فرسانها ... تذكر عند الموت أمثاليه[٦٧]

هـ) الإحسان إلى لأسير:

وقد يحسن الآسر إلى أسيره، ويعامله كأحد أفراد قبيلته في تحركاته وتصرفاته، بل وحتى حضوره اجتماعاتها واتخاذها قراراتها الخطيرة، كما يتضح ذلك من أسر ناشبُ بن بشامه العنبري الأعور، فقد كان أسيراً في قيس بن ثعلبه وسمع وهو في أسره أن بني عنزة بن أسعد بن ربيعة، وعجل بن لجيم، وتيم الله، وقيس ابن ثعلبه بن بكر بن وائل، والمعروفين بـ اللهازم وهم جميعاً متحالفين أرادوا الإغارة على بن تميم على حين غفلة، فبعث إليهم ناشب بن بشامة من يخبر قومه لأخذ حذرهم وكان له ذلك، حيث التقيان في يوم "الوقيط"[٦٨].

---

(٦٥) السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص ٣٧٢.

(٦٦) شكران خربطلي، سطور منسية في تاريخ الحجاز (الحياة الاجتماعية في الحجاز قبيل ظهور الإسلام) القرن (دمشق، ٢٠٠٥م)، ص١٠٠-١٠١.

(٦٧) ابن الأثير، المصدر السابق، ج١، ص ٣٦٩ – ٣٧٠.

(٦٨) ابن عبد ربه، المصدر السابق، ج ٥، ص ١٦٣-١٦٥؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج١ ص ٣٨٥؛ الألوسى، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٨٣ – ٣٨٥.

كما قد يحظى الأسير بعفو آسره بدفع فديته لقومه كما فعل قيس بن زهير، عندما أراد أن يرجع أسرى بني يربوع، فأعترض عليه رهطه، لأنه كان ينوي فك الأسرى مقابل خيلا أراد أن يمتلكها فما كان من قيس بن زهير، إلا أن أشترى من رهطه غنيمتهم بمائة من الإبل، وفك أسرى بن يربوع [٦٩].

وقد أجار الحارث بن بيبه المجاشعي، الصمة الجشمي بعد أن أسره، خشية أن يفتك به أهله [٧٠].

وقد يكون هناك أحسان من نوع آخر حيث تجير القبيلة على مشاركة الأسرى في معاركها، تقديراً وتعزيزاً لمكانتهم، والحاجة إليهم، كما كان في يوم ذي قار، [٧١]حيث كان هناك أسرى في بكر من تميم قريباً من مائتي أسير، وأكثرهم من بني رباح بن يربوع فقالوا: خلوا عنا، نقاتل معكم، فإنما نذب عن أنفسنا، قالوا: فإنا نخاف إلا تناصحونا قالوا: فدعونا نعلم حتى تروا مكاننا وعناءنا فكان لهم، وفي ذلك يقول جرير:

منا فوراس ذي يهدي وذي نجب والمعلمون صباحاً يوم ذي قار [٧٢]

ولعلى أوضح من ذلك في هذا الشأن، ما كانت يفعله مُلوك الحيرة وخاصة في عهد النعمان بن امرئ ألقيس، حيث كانت له عادة مع القبائل العربية، حيث كانوا يأخذون حوالي خمسمائة فتى، من أبناء القبائل العربية كأسرى ضماناً لئلا تغزوا قبائلهم ممتلكات الحيرة، ولكي يلتزموا بالوفاء بالأحلاف،والعقود بينهما، ويمكثون في بلاط الحيرة قرابة ستة أشهر، يستبدلون بعد هذه المدة بأخريين، وكانوا يشكلون جنودا في جيشه ويقفون على بابه [٧٣].

---

(٦٩) محمد محمود جمعه، المرجع السابق، ص ٣٥.

(٧٠) محمد أحمد جاد المولى، المرجع السابق، ص٢١٦، نقلاً عن النقائض ص ١٠١٩.

(٧١) موقعة ذي قار أحد أشهر معارك العرب ضد الفرس، وقد تحقق فيه النصر لبكر، وقد وقعت بعد بعثة المصطفى صلى الله عليه وسلم، وأخبر بها أصحابه حين قال لهم، اليوم أول يوم انتصرت فيه العرب على العجم وبي نصروا. أنظر الطبري، تأريخ الأمم والملوك (القاهرة ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م)، ج ٢، ص ١٤٦؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٨٩.

(٧٢) ابن عبد ربه، المصدر السابق، ج ٥، ص ٢٢٨ – ٢٢٩.

(٧٣) كاستر، المرجع السابق، ص ٣٦؛ جواد علي، المرجع السابق، ج ٣، ص ١٩٨– ١٩٩؛ أنهم كانوا يقفون على بابه قرابه سنة كما ذكر ذلك جواد علي، نفس المرجع، ص ١٩٩.

و) المكانة الاجتماعية وأثرها عند الأسير:

كما كان للمنزلة الاجتماعية أهميتها في المجتمع العربي فكان أصحاب الجاه، عندما يُأسروا يسألوا من يريد أسرهم عن أسمه ونسبه، فإن وجدوه من العبيد والموالى رفضوا الاستسلام له، لأنهم كانوا يروى أن استسلامهم لمن هم أقل منهم في ألمكانه أهانت لهموتحقيراً، فكانوا يحرصون على المراوغة والإفلات منه جهد ما أمكنوا، وحتى آخر نفس فيهم، وقد يجدوا في البحث أثناء مراوغتهم عن شخص أخر، يرون فيه أمارة الوجاهة والشرف، فيطلبوا منه أن يستأسروا لهخشية أن يقع في يد عبداً، أو صعلوك، لإمكان له في المجتمع فيفضح أمرهم بين العرب (٧٤).

وعندما هزمت تميم من بني عامر في يوم جبلة، فرا حاجب بن زراره سيد تميم، فتبعه زهدم وقيس ابنا حزن بن وهب العسيبان وجعلا يطر دانه، ويقولان له: أستأسر، وقد دنو منه – فقال حاجب من أنتما ؟ فقالا له: نحن الزهد مان، فقال لهم لا أستأ سر اليوم لمولىين، وبينما هم كذلك أدركهم مالك ذو الرقيبة العامري و فقال لحاجب: أستأ سر، فقال: ومن أنت قال: أنا مالك ذو الرقيبة، فقال أفعل لعمري، ما أدركتني حتى كدت أن أكون عبداً وألقى إليه رمحه فأعتنقه زهدم فألقاه عن فرسه، فصاح حاجب: يا غوثاه، وزهدم قائم يراوغ بسيفه، فنزل مالك وأقتلع زهدما عن حاجب (٧٥).

---

(٧٤) جواد علي، المرجع السابق، ج٥، ص ٤٦٦؛ محمد الخطيب، المرجع السابق، ص ٨٧.

(٧٥) ابن عبد ربه، المصدر السابق، ج٥، ص ١٣١؛ الأصفهاني، المصدر السابق، ج١١، ص ١٠٤ –١٠٥؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٥٧، محمد أحمد جاد المولى، المرجع السابق، ص ٣٤٩، ٣٥٧ – ٣٥٨. وإن الذهدمان لم يعجبهما فعل مالك فخرجا إلى قيس بن زهير وقالا له، أخذ مالك أسيرنا من أيدينا فقال قيس، ومن أسيركم ؟ قالا، حاجب بن زرارة، فخرج قيس إلى بني عامر فقال، إن صاحبكم أخذ أسيرنا، قالوا، من صاحبنا ؟ قال، مالك ذو الرقيبة، أخذ حاجباً من الزهدمين، فجاء مالك وقال لهم، لم أخذه منهما، ولكنه أستأ سر لي وتركهم، فلم يبرحوا حتى حكموا حاجباً في ذلك، وهو في بيت مالك ذو الرقيبة فقالوا، من أسرك يا حاجب ؟ فقال، أما من ردني عن قصدي ومنعني أن أنجو ورأى من عورة فتركها، فالذهدمان، وأما الذي أستأ سرت له فمالك، فحكموني في نفسي، فقال له القوم، قد جعلنا إليك الحكم في نفسك، فقال، أما مالك فله ألف ناقة، وللذهدمان مائة. انظر الأصفهاني، المصدر السابق، ج١١ ص ١٠٥؛ محمد أحمد جاد المولى، المرجع السابق، ص ٣٥٧ – ٣٥٨؛ وعند ابن الأثير أنه فدا نفسه فقط بمائة من الإبل. انظر ابن الأثير، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٥٧.

وقد يندفع بعضهم إلى الفرار، وقتل نفسه على أن يقع في الأسر، كما فعل الحكم بن الطفيل بعد أن انهزمت بني عامر من غطفان في يوم " الرقيم " فأنهزم الحكيم في الطفيل في نفر من أصحابه، حتى قطع العطش أعناقهم فماتوا وفي رواية أن الحكم بن الطفيل خاف أن يؤسر فيمثل به،فجعل في عنقه حبلاً ، وصعد إلى شجرة، وشده وقد دلى بنفسه فأختنق حتى مات. وحاول رجل من أصحابه من بني غنى أن يفعل فعلته فلم يفلح، وفي ذلك يقول عروة بن الورد:

ونحن صبحنا عامراً في ديارها غلالة أرماح وضرباً مذكراً
بكل رفاق الشفرتين مُهنَدَ ولدن من الخطى قد طرّ أسمرا
عجبت لهم إذا يخنقون نفوسهم ومقتلهم تحت الوغي كان أجدرا[٧٦]

وقد يكون العكس فيقدم الأسير نفسه للأسر، ويجد أن ذلك خيراً له من أن يموت في الفلا، فعندما هزمت بنو شيباني تميم لحق عتيبة بن الحارث من بني يربوع، ببسطام بن قيس الشيباني، ودنا منه وناداه قائلاً : أستأ سر أبا الصهباء، فقال له بسطام ومن أنت: قال أن عتيبة بن الحارث، وأنا خير لك من الفلا والعطش، فستأسر بسطام له[٧٧].

وكذلك فعل أسود بن بجير العجلى مع النعمان بن زرعه عندما خيره للأسر على الموت عطشا فأسره. [٧٨] كما كان بعض فرسان القبائل، وسادتها يتخيرون أسراهم فلا يأسرون إلى صاحب الجاه والمال طمعاً في الفداء [٧٩]، ففي " يوم السوبان " دنا عامر بن مالك، من ضرار بن عمرو الضبى (الرديم) فقال له ضرار: إني لأعلم ما تريد، أتريد اللبن؟ قال نعم. قال: إنك

(٧٦) ابن عبد ربه، المصدر السابق، ج ٥، ص ١٤٦؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٩٣ – ٣٩٤، محمد أحمد جاد المولى، المرجع السابق، ص٢٧٨.

(٧٧) ابن عبد ربه، المصدر السابق، ج ٥، ص ١٧٥؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٦٥؛ محمد أحمد جاد المولى، المرجع السابق، ص ١٩٨.

(٧٨) الأصفهاني، المصدر السابق، ج ٢٤، ص٤٣ .

(٧٩) كاستر، المرجع السابق، ص ٢٣-٢٤.

لا تصل إلى، ومن هؤلاء عين تطرف فكلهم بني. فقال له عامر: فأحلني على غيرك، فدله على حُبيشي بن دلف، وقال عليك بذلك الفارس، فشد عليه وأسره [٨٠].

وكذلك حاولت بن يربوع أستثارة بجاد أخو بسطام بن الحارث الشيباني بعد أن وقع في أسرهم بسطام قائلين له: كر على أخيك وهم يرجون إذا أيسوه – حمسوه– فيغضب فيرجع إلى مقاتلة بن يربوع فيأسر، طمعاً في الحصول على الفداء، وذلك في " يوم العبيط " فلم يفعل لتحذير بسطام له [٨١].

ز) الأسر بغير حرب:

وقد يقع الأسر دون حرب، فقد أسر عروة الرحال بن جعفر سنان بن أبي الحارثة واثنين من أبناءه هما هرم ويزيد، على غدير، وقد كان العطش يهلكهم فأسرهم وأطلق سراحهم على الثواب (الفداء). وفي رواية أن بارق هي التي أسرت سنان بن أبي الحارثة وبنية على الثواب (الفداء) [٨٢].

---

(٨٠) ابن عبد ربه، المصدر السابق، ج٥، ص ١٦٠–١٦١ويضيف كاستر في رواية نقلاً عن البلا ذرى في كتاب الأنساب – أن أبو براء عامر بن صعصعه حمل على أسر ضرار بن عمرو قائد بني ضبه طمعاً في أسره وفدائه في يوم" سيلان"وكان محتمياً بين أبناءه من فوارس بن ضبه وكان عددهم تسعة، فلم شاهد أبو براء عامر بن مالك بسألة أبناءه، وهم يدافعون عن أبيهم قال أبي براء عامر لتموتن أو لأموتن دونك، فأحلني على رجل له فداء فاوما (وجهه) نحو حُبيشى ابن دلف، وكان سيداً فحمل عليه أبو براء فأسره. انظر كاستر، المرجع السابق، ص ٢٣–٢٤.

(٨١) ابن عبد ربه، المصدر السابق، ج ٥، ص ١٧٥؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٦٥؛ محمد أحمد جاد المولى، المرجع السابق، ص ١٩٨.

(٨٢) الأصفهاني، المصدر السابق، ج ١١، ص١١٠. وأن عروة الرحال جز نواصيهم وأطلقهم، ثم جاء إليهم يأخذ ثواب ذلك، فلم يثيبه سنان بن أبي الحارثة بشي فأنشد عروة،

ألا مـــن بلـــغ عـــن ســـناناً ... الوكـــاً لا أريـــد بهـــا عتابـــاً

أفـــي الخضـــراء تقســـم هجميـــتكم ... وعـــروة لـــم يثـــب إلا الترابـــا

فلـــو كـــان الجعـــافر طـــاوعوني ... غـــداة الشـــعب لـــم تـــذق الشـــرابا

وفي رواية أن بارق أتت إلى سنان تطلب الثواب فلم يصنع فيهم خيراً . انظر الأصفهاني، المصدر السابق، ج ١١، ص ١١١.

الفداء

لقد تعددت طرق فداء الأسرى عند العرب ما بين الإطلاق بدون مقابل، أو أن يكون المقابل شيء عين يمس كرامة الأسير، كجز ناصيته، أو بأخذ المال فداء،أو بالاثنين معاً ، أو الاكتفاء بأخذ المال، وهو الأرجح.

أ- جزي ناصية الأسير:

فقد كان يجزي ناصية الأسير أمعاناً في إذلاله، وخاصة أصحاب الجاه والفرسان، حيث يخير الأسير بين أسره أو جز ناصيته [٨٣]، وأخلاء سبيله، على أن يجعل شعر ناصية الأسير في كنانة الأسر، لإحراجه عند المفاخرة، فقد حرصوا على جزى ناصية الأسير وخاصة الشريف ذلة له، واعتزازاً بالعفو عنه عند المقدرة[٨٤]، والأمثلة على ذلك كثيرة فقد أسر زيد الخيل الشاعر الخطيئة ثم جز ناصيته وأطلق سراحه [٨٥].

كما استأسر عامر بن الطفيل لزيد الخيل بعد أن لحق به لنجدة امرأة أخذها عامر بن الطفيل مع نعمها في أحدى غاراته على بني نزار، فلما طلب منه زيد الخيل أن يترك الصغينة (المرأة) ويستأسر ومن معها أبا عامر بن الطفيل في بادئ الأمر، فلما علم أنه زيد الخيل أستأسر له، فجز زيد الخيل ناصيته وأطلق سراحه، وأخذ رمحه، وأرجع المرأة إلى أهلها مع نعمها وقال زيد الخيل في ذلك:

إنا لنكثرُ في قيس وقائعنا ... وفي تميم وهذا الحي من أسد

وعامر بن طفيل قد نحوت له ... صدر القناة بماض الحد مطرد

لما أحس بأن الورد مدركه ... وصارماً وربيط الجاش ذا لبد[٨٦]

---

(٨٣) الناصية، مقدمة الرأس فوق الجبهة، وكان من عادة العرب إذا أنعموا على الرجل الشريف بعد أسره جزوا ناصيته وأطلقوه،وتكون الناصية عند من جزها للتفاخر بها. انظر محمد أحمد جاد المولى، المرجع السابق، ص ١٠٤.

(٨٤) أحمد محمد الحوفي، المرجع السابق، ص ٢٦٦-٢٦٧.

(٨٥) الأصفهاني، المصدر السابق، ج١٧، ص ١٨٥؛ أحمد محمد الحوفي، المرجع السابق، ص ٢٦٧.

(٨٦) الأصفهاني، المصدر السابق، ج١٧، ص ١٩٠.

وكذلك أطلق الحارث بن عبادى في يوم " البسوس " المهلهل بن ربيعة بعد أن جز ناصيته [٨٧].

وكذلك فعل الأسود بن بجير بن عائذ بن شريك العجلى عندما أسر النعمان بن زرعه فجزوا ناصيته وأخلوا سبيله، في موقعة ذي قار بعد أن لحق به [٨٨].

وفي يوم الوقيط جزت بنو تيم اللات ناصية ضرار بن سعد بن زراره وقد أخذه أسيراً طعن بن بشر بن العوراء، وخلت بنو تيم اللات سبيله ليلاً [٨٩].

وقد يجمع بين جزي الناصية ودفع الثواب (الفداء) فقد أسر قيس بن المنتفق بن عامر (ابن الطفيل)، عمرو بن عمرو بن عدس، في يوم" جبلة "، وحكمه في نفسه فحكم قيس على نفسه بجز ناصيته، ودفع الفداء فجز ناصيته، وقبل قيس بن المنتفق فداء، وأطلق سراحه، خشيت أن يقع في أسر الحارث بن الأبرص فيقتله [٩٠].

كذلك أسر عوف بن الأخرص معاوية بن الجون، فجز ناصيته وأعتقه على الثواب[٩١].

على أية حال فقد تفاخر العرب بجز نواصي أسراهم وتفاخروا بذلك تقول الخنساء مفتخرة بجز قومها نواصي أسراهم.

جززنـــــا نواصـــــي فرســـــانهم وكـــــانوا يظنـــــون أن لا تجـــــزا[٩٢]

ب) الفداء بالخيل المشهورة:

وقد يطلق سراح الأسير مقابل خيل مشهورة، فقد قيس بن زهير بن جزيمة العبسي، أغار على بن يربوع من تميم فنهب وأسر، وأثناء أغارته عليهم شاهد المهر " داحس " والفرس " الغبراء" فأعجبته وكان يمتطيها اثنان من غلمان بنى يربوع، فأعجبته وكتم ذلك حتى إذا قدم وفد

---

(٨٧) الأصفهاني، المصدر السابق، ج ٥، ص٣٢؛ ابن الأثير، ج١، ص١٨٣.

(٨٨) الأصفهاني، ا لمصدر السابق، ج ٢٤، ص٤٣.

(٨٩) ابن عبد ربه، المصدر السابق، ج ٥، ص ١٦٣-١٦٥؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج١، ص ٣٨٤؛ محمد أحمد جاد المولى، المرجع السابق، ص ١٧٣.

(٩٠) الأصفهاني، المصدر السابق، ج ١١، ١٠٦؛ ابن عبد ربه المصدر السابق، ج٥، ص ١٣١ (باختصار)؛ محمد أحمد جاد المولى، المرجع السابق، ص ٣٥٨.

(٩١) الأصفهاني، المصدر السابق، ج١١، ص١٠٣؛ محمد أحمد جاد المولى، المرجع السابق، ص ٣٦٠. وفي كلتا الحالتين السابقتين لم يف أحداً بما وعد به.

(٩٢) أحمد محمد الحوفي، المرجع السابق،ص٢٦٧؛نقلاً عن ديوان الخنساء، ص ١٤٥

بنى يربوع لفداء أسرآهم، فأطلق قيس بن زهير الجميع إلا أم الغلامين وأختيهما، وطلب مقابل فدائهما، أن يأتيا له بالمهر " داحس " والفرس " الغبراء " كفداء لهما، فرفض الغلامين، ولم تجد بنى يربوع في نهاية الأمر إلا أن تخضع لإرادة قيس بن زهير، وقدمت المهر والفرس لفداء أم الغلامين وأختيهما [٩٣].

وأطلق زيد الخيل الشاعر كعب بن زهير وقد كان أسيرا لديه، بخيل كعب بن زهير" الكميت" [٩٤].

ج) تحرير الأسير لنفسه بالحيلة:

وربما تمكن الأسير من فك أسره بالحيلة فيخدع آسره، كما كان في أحد أيام "حرب البسوس"، فقد أسر الحارث بن عباد" المهلهل" عدى بن ربيعة – بعد هزيمة ربيعة وتغلب وهو لا يعرفه، فقال الحارث: دلني على المهلهل فقال له المهلهل: ولي دمي ؟ قال: ولك دمك، قال المهلهل: ولي ذمتك وذمة أبيك ! قال: نعم، ذلك لك، قال المهلهل، وهو صاحب رأي ومكيدة، فأنا المهلهل خدعتك على نفسي، والحرب خدعة، فقال الحارث: كافئني بما صنعت لك بعد جرمك، ودلني على كف لبجير، فقال: لا أعلمه، إلا امرئ القيس بن أبان، ذاك علمه فجز ناصيته وأطلقه [٩٥].

وكذلك فعل تأبط شر، مع صاحبيه الشنفرى وعمرو بن براق عندما أغاروا على بجيلة، وكانت تتربص بهم حتى أذا تمكنت من تأبط شراً أسرته، ولكن بحيلة خدع بها تأبط شراً بجيله مع صاحبيه، وتمكنوا من العدو والفرار من الأسر، وضرب المثل بفعلتهم وأشتهر به الشنفرى فيقال " أعدى من الشنفرى " رغم أن صاحب الملحمة هو تأبط شراً ً [٩٦].

ويقول تأبط شراً في ذلك اليوم:

---

(٩٣) ابن الأثير، المصدر السابق، ج١، ص ٣٤٤.

(٩٤) الأصفهاني، المصدر السابق، ج ١٧، ص١٩١.

(٩٥) الأصفهاني، المصدر السابق، ج ٥، ص ٣٢؛ ابن عبد ربه، المصدر السابق، ج٥، ص ١٩٥ (باختصار)؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج١، ص ١٨٣؛ محمد أحمد جاد المولى، المرجع السابق، ص ١٦٣-١٦٤.

(٩٦) عبد الله عبد الجبار ، محمد عبد المنعم خفاجي، المرجع السابق، ص ٣٠٠؛ شوقي ضيف، المرجع السابق، ص ٣٧٧-٣٧٨.

نجـوت منهـا نحـائي مـن بجيلـة إذ ألقيـت ليلـة خبـت الـرهط أرواقـي
ليلـة صـاحوا وأغـروا بـي سـراعهم بـالعيكتين لـدي معـدى ابـن بـراق[٩٧]

د) هروب الأسير:

وقد يتمكن الأسير من الهروب من أسراه دون مقابل، كما جاء في يوم الوقيط عندما هرب عوف بن القعقاع من أسر بكر وفي ذلك يقول: عمير بن عمارة التميمي.

وأفلتنـا ابـن قعقـاع عويـف حثيـث الـركض واحتطـو ضـرارا
فـإن تـك يـا عويـف نجـوت منهـا فقـدما كنـت منتخبـاً مطـاراً[٩٨]

وقد يسلب الأسير أزاره ومتاعه، ليتمكن من الهرب من أسره كما يفهم من قول عمير بن عمارة التيميمي، بعد يوم الوقيط:

وغادرنـا حكيمـاً فـي مجـال صـريعاً قـد سـلبناه الإزار[٩٩]

هـ) المكانة الاجتماعية وأثرها في إطلاق الأسير:

جعل العرب للمنزلة الاجتماعية أهمية خاصة في إطلاق الأسرى، حيث كان لأصحاب الجاه والفرسان مكانة خاصة في تشفعهم لإطلاق الأسير دون مقابل، فكانوا يطلقون الأسير بالمن عليه [١٠٠]، ويتفاخرون بذلك فهذا لبيد بن معمر، يقول مفتخراً بذلك:

وكمـا فككنـا بغيـر مسـوامة فأصـبح يمشـي فـي الحلـة جـاذلا

وتقول الخنساء وهي ترثي أخاه صخر بإطلاقه الأسرى بغير فداء:

أنـى قـد علمـت وجـدك بالحـد وإطلاقـك العنـاة الجناحـا

وتقول:

رداد عاديـة فكـاك عاتيـة كضـغيم باسـل للقـرن همصـار

وتقول أيضاً :

---

(٩٧) عبد الله عبد الجبار، محمد عبد المنعم خفاجي، المرجع السابق، ص ٤٣٤.

(٩٨) ابن عبد ربه، المصدر السابق ج ٥، ص ١٦٥-١٦٦؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج١، ص ٣٨٥؛ محمد أحمد جاد المولى، المرجع السابق، ص ١٧٣.

(٩٩) محمد أحمد جاد المولى، نفس المرجع، ص ١٧٣.

(١٠٠) محمد أحمد جاد المولى، المرجع السابق، ص ٣٧٣؛ أحمد محمد الحوفي، المرجع السابق، ص ٢٦٦.

ورب نعمـــــى منـــــك أنعمتهـــــا علـــى عنـــاة عُلَـــقَ فـــي الإســـار [١٠١]

وهاهو متمم بن نويرة أخو مالك بن نويره يتحدث مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يصف سيرة أخيه مالك قائلاً : لقد أسرني بنو تغلب في الجاهلية، فبلغ ذلك مالكاً فجاء ليفتديني، فلما رأه القوم أعجبهم جماله، وحدثهم فأعجبهم حديثه، فأطلقوني له بغير فداء [١٠٢].

وفي يوم " أوارة الثاني " غزا عمرو بن هند، طئ ونقظ العهد الذي بينه وبينهم وسبئ بعض نسائهم وأبنائهم، وقد تناول شعراء طيء تلك الحادثة بإسهاب في شعرهم يقول غارق الطائي.

مـــن بلـــغ عمـــر بـــن هنـــد رســـالة إذا اســـتحقينها العبســـى تتـــنض مـــن البعـــد
أيوعـــدنى والرمـــل بينـــي وبينـــه تأمـــل رويـــداً مـــا أمامـــه مـــن هنـــد

وجاء فيها أيضاً :

غـــدرت بـــأمر كنـــت أنـــت دعوتنـــا إليـــه وبـــئس الشـــيمة الغـــدر بالعهـــد

فبلغ عمرو بن هند هذا الشعر فغزا طي، وأسر من بني عدي رهط حاتم الطائي – سبعين رجلاً ، وكأن فيهم قيس بن جحدر ابن خالة حاتم الطائي، فلما علم حاتم، سار إلى عمرو بن هند لفك أسراهم فوهبهم له، الأ قيس بن جحدر لأنه في رهط غارق فقال حاتم:

فككـــت عـــدى كلهـــا مـــن إســـراها فـــأنعم وشـــفعنى بقـــيس بـــن جحـــدر
أبـــوه أبـــي، والأمهـــات أمهاتنـــا فـــأنعم فـــدتك اليـــوم نفســـي ومعشـــرى

فقال النعمان: هو لك [١٠٣].

و) دور المرأة في أطلاق الأسير:

كان للمرأة العربية دوراً في المشاركة الاجتماعية فحظيت بأحقية خاصة بها لإطلاق الأسير، كرداً للجميل، فقد أسر دريد بن الصمه سيد بن جشم من سليم، من قبل قبيلة خماس بن غنم بن كنانة، وقد أخفى دريد نسبه وبينما هو عندهم إذا جاء نسوة القبيلة يتهادين إليهم، فعرفته امرأة منهن فقالت: هلكتم ! وأهلكتم ماذا جر علينا قومناً ، هذا والله الذي أعطي ربيعة رمحه في

---

(١٠١) أحمد محمد الحوفي، المرجع السابق، ص ٢٦٧؛ نقلاً عن ديوان الخنساء، ص ١٣٥، ١٣٦، ١٢٩

(١٠٢) أحمد محمد الحوفي، المرجع السابق، ص ٢٦٨، نقلاً عن ابن قتيبه، عيوان الأخبار، ج٤، ص ٣٢.

(١٠٣) الأصفهاني، المصدر السابق ج٢٢، ص ١٣٣؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج١، ص ٢٣٥-٢٣٦؛ محمد أحمد جاد المولى، المرجع السابق، ص ١٠٠-١٠٢؛ أحمد محمد الحوفي، المرجع السابق، ص ٢٦٨.

يوم الظغينه [١٠٤]، وألقت عليه ثوبها وقالت: أنا جارة لكم منه، فقبل قومها إجارتها، وأطلقوه لشفاعتها فكسته، وجهزته، ولحق بقومه، ولم يزل كافاً عن غزو بنى فراس حتى هلك [١٠٥].

ز) إطلاق الأسير بشفاعة شاعر:

كما حظي الشاعر بدور في تشفعه للأسير وإطلاق سراحه، فقد جاء عن الأعشى أنه هجا رجل من كلب وعيره الناس بهجائه، فتغيظ منه، فأغار على قوم بات الأعشى عندهم، فأسر عدداً منهم، وكان من بينهم الأعشى، وهو لا يعرفه، فجاء حتى نزل بأسراه عند شريح بن السموءل بن عادياء الغساني،فمر شريح بالأعشى فناداه الأعشى مستغيثاً :

شـــريح لا تتركنـــي بعـــدما علقـــت	حبالـك اليـوم – بعـد الغـدر – أظفـارى
قـد جلـت بـين بانقيـا إلـى عـدن	وطـال فـي العجـم تـردادي وتسـيارى
فكـــان أكـــرمهم عهـــداً وأوثقهـــم	عقـــداً أبـــوك يعـــرف غيـــر إنكـــار
كالغيـث مـا اسـتمطروه جـاد وأبلـه	وفـــي الشـــدائد كالمستأســـد الضـــارى
كـن كالسـموءل إذا طـاف الهمـام بـه	مـــا جحفـــل كهزيـــع الليـــل جـــرار

فطلب شريح من الكلبي أن يهب له هذا الأسير، فقال: هو لك، فأطلقه شريح، وحباه وأكرمه[١٠٦].

---

(١٠٤) يوم الظغينة، هو يوم" كدير" بين بنى سليم على كنانه، فعندما غار دريد بن الصمة سيد جشم وفارسها على بنى كنانة، مع بعض فرسان سليم فلما وصل إلى أحد أوديتها شاهد رجل ومعه امرأة في هودجها (ظغينة) فطلب دريد من أحد فرسانه أن يصيح بالرجل، أن خل عن الظغينة وأنج بنفسك، ففعل فما كان من الرجل حامي الظغينة إلى وقتله فبعث دريد بفارس ثاني ففعل به كالأول، وكذلك كان مصير الثالث، وكان الرجل هو ربيعة بن مكدم، فتقدم دريد بن الصمه ليرى ماحل بأصحابه، فوجدهم قتلا، ووجد ربيعة بن مكدم وقد كسر رمحه، وكان ربيعة بن مكدم من فرسان كنانة وشجعانها المشهورين، فقال له دريد بن الصمه، " أيها الفارس؛ أن مثلك لا يقتل، وإن الخيل تأثره بأصحابها، ولا أرى معك رمحاً، واراك حديث السن، فدونك هذا الرمح، فإني راجع على أصحابي فأثبطهم عنك. فحفظت المرأة جميل دريد من تلك الحادثة. انظر الأصفهاني، المصدر السابق، ١٦، ص ٤٦-٤٧؛ ابن عبد ربه، المصدر السابق، ج٥، ص ١٥٢-١٥٣ الألوسي، المرجع السابق، ج٢، ص ١٣٤-١٣٥؛ محمد أحمد جاد المولى، المرجع السابق، ص ٣١٢-٣١٣.

(١٠٥) الأصفهاني، المصدر السابق، ج١٦، ص ٤٧-٤٨؛ ابن عبد ربه، المصدر السابق، ج٥، ص ١٥٣-١٥٦؛ الألوسي، المرجع السابق، ج٢؛ ص ١٣٥-١٣٦؛ محمد أحمد جاد المولى، المرجع السابق، ص ٣١٧-٣١٨.

(١٠٦) الأصفهاني، المصدر السابق، ج٩، ص ٨٧-٨٩؛ أحمد محمد الحوفي، المرجع السابق، ص ٢٦٩.

وأستوهب هوذة بن علي، من المكعبر أذاد بن فيروز بن جشيسى حاكم البحرين من قبل فارس أسرا من بني تميم في يوم المشقر فوهب المكعبر له مائة أسير فأطلقهم، وقد تباه الأعشى بذلك قائلاً :

سائل تميم به أيام صفقتهم ... لما أتوه أسارى كلهم ضرعا
وسط المشقر في غبراء مظلمة ... لا يستطيعون بعد الضر منتفعاً
فقال للملك أطلق منهم مائة ... رسلاً من القول مخفوضا وما رفعا
ففك عن مائة منهم أسارهمو ... وأصبحوا كلهم من غلة خلعا[١٠٧]

وفي يوم " حليمة " الذي انتهى بانتصار الحارث بن أبي شمر الغساني، على اللخميين ملوك الحيرة، فكان من ضمن الأسرى من القبائل العربية، حوالي مائة رجل من بن تميم، انصرف بهم الحارث الغساني وكان فيهم شأس بن عبدة، فلما سمع أخوه علقمه أتى إلى الحارث الغساني مستشفعاً لأخيهوأنشد قائلاً :

طحا بك قلب في الحسان طروب ... بعيد الشباب عصر حان مشيب
يكلفني ليلى وقد شط وليها ... وعادت عواد بيننا وخطوب
وأنت امرؤ أفضْت إليك أمانتي ... وقبلك ربتني فضعت ربوب

وقال أيضاً :

وأنت الذي آثاره في عُدوه ... من البؤس والنعمى لهن ذُنُوب
وفي كل حي قد خبطت بنعمة ... فحق لشأس من نداك ذنوب
فلا تحرمني نائلاً من جنابة ... فإني امرؤ وسط القباب غريب

فلما بلغ للحارث قوله " فحُق لشأس من نداك ذنوب " قال: أي والله وأذنبه، ثم أطلق شأس وخيره بين الحباء، أو فك اسرى قومه، وضمر في نفسه الحارث، أن هو اختار الحباء على فك أسرا قومه ؟ فلا خير فيه،فأختار شأس فك أسرى قومه قائلاً : ما كنت لأختار على قومي شيئاً .

---

(١٠٧) ابن الأثير، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٧٦، هـ ٢.

وهكذا نجد شفاعة الأسير بعد أن يكرم بإطلاق سراحه يتشفع في غيره، فأطلق الحارث شأس وحباه، وأسرى بني تميم، وحباهم، وذودهم زاداً كثيراً ، فكان رد قومه لشاس، أن دفعوا إليه كل ما وهبه لهم الحارث كردجميلاً له قائلين: أنت كنت السبب في أطلاقنا فاستغنى بهذا الحلي دهرك، فُجعلوا له كثيراً من الإبل وغير ذلك [١٠٨].

وقد يطلق الآسر أسيره مقابل مديحة، ويؤثر ذلك على الفداء، فعندما أسر صعصعة بن محمود، أحمر بن جندل، بعث إليه سلامه بن جندل أبياتاً قال فيها

فأن شئت أهدينا ثناء ومدحة وأن شئت عدينا لكم مائة معاً

فأطلقه وقال: المدحة والثناء أحب إلينا [١٠٩].

وفي يوم " الوقيط " أسر طيسلة بن زياد بن عجل من بني ربيعة. جويرية بن بدر من بنى عبد الله بن دارم فلما يزل في قيده حتى أنشد قائلاً :

وقائلة ما عالة أن يزورها وقد كنت عن تلك الزيارة في شغل
لعلهم أن يمطرونى بنعمة كما طاب ماء المزن في البلد المحل
فقد ينعش الله الفتى بعد عسرة وقد يستدى الحسنى سراة بن عجل

فأطلق بن عجل أسره [١١٠].

وها هو عبد الله بن غنمة الضبى يمدح متمم بن نويرة، فأطلق سراحه في يوم "ذي طلوح " حيث يقول:

جزى الله رب الناس عنى متمماً بخير الجزاء ما أعف وأمجداً
كأنى غداة الصمد حين دعوته تفوعت حصناً لا يرام ممنزداً
أجيرت به أبناؤنا ودماؤنا وشاركك في إطلاقنا وتفردا
ابا نهشل إني لكم غير كافر ولا جاعل من دونك المال مؤصدا[١١١]

---

(١٠٨) ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج٢، ص ٢٩٦-٢٩٧؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج١، ص ٣٢٨-٣٢٩؛ محمد أحمد جاد المولى، المرجع السابق، ص ٥٤-٥٩ ؛ أحمد محمد الحوفي، المرجع السابق، ص ٢٦٨

(١٠٩) أحمد محمد الحوفي، المرجع السابق، ص ٢٦٩، نقلاً عن ديوان سلامه بن جندل ص ٢٢.

(١١٠) ابن عبد ربه الأندلس، المصدر السابق، ج٥، ص١٦٥-١٦٦.

(١١١) ابن عبد ربه، المصدر السابق، ج٥، ص١٦٩؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج١، ص ٣٩٠، ٤٨١ محمد أحمد جاد المولى، المرجع السابق، ص ١٨٨.

ولقد تشفع شعر لا أحد أسرى بنى يربوع، عند بنى شيبان، سمعه بسطام بن قيس الشيباني فأطلق سراحه جاء فيه: (١١٢)

فـــدى بوالـــدة علـــى شـــفيقة فكأنهـــا حـــرض علـــى الأســـقام

لـــو أنهـــا علمـــت فيســـكن جاشـــها أنـــى ســـقطت علـــى الفتـــى المنعـــام

إن الـــذي تـــرجين ثـــم إيابـــه ســـقط العشـــاء بـــه علـــى بســـطام

ســـقط العشـــاء بـــه علـــى متـــنعم ســـمح اليـــدين معـــاود الأقـــدام

فلما سمع بسطام منه ذلك قال له:وأبيك لا يخبر أمك عنك غيرك وأطلقه (١١٣).

وقد أشتهر عن النابعة الذبياني تردده على الغساسنة لمدحهم، ليكفوا عن قومه من ذبيان، وبنى أسد المحالفين للمنازرة، ويرد بطشهم، ويطلب الحرية لمن يقع في أسرهم، وظل كذلك يتردد على ملوكهم ليجنب قومه وأحلافهم، حروب الغساسنة وبطشهم، وكان عيناً لهم في بلاطهم(١١٤).

ح) إطلاق الأسير مقابل المال:

لا شك أن الفداء مقابل المال كان الأشهر لفداء الأسرى عند العرب، ويعد لدى بعضهم بمثابة غنيمة حرب (١١٥)، وقد اختلفت مقادير الفدية باختلاف شخصية الأسير، وارتبطت قيمتها بقيمة الأسير، فكلما كانت مكانة الأسير كبير لدى قومه كانت فديته على قدر مكانته.

فقد أسرت بنو تميم هوذة بن علي الحنفي، بعد أن خرجت عليه تميم، لأنه حاول أن يقطع عليهم الجعل الذي كانوا يأخذونه من الفرس مقابل تأمين قوافلهم الذاهبة إلى بلاد اليمن، فخرجت عليه عند "بنطاع" أحدى أودية اليمامة وأخذوا ما معه وقتلوا المقاتلين الفرس المرافقين له،

---

(١١٢) بسطام بن قيس الشيباني، فارس بكر ويضرب به المثل في الفروسية فيقال" أفرس ما بسطام "، ويكنى بـ أبا الصهباء. انظر محمد أحمد جاد المولى، المرجع السابق، ص ٢٠٦.

(١١٣) ابن الأثير، المصدر السابق ج١، ص ٣٦٦؛ محمد أحمد جاد المولى، المرجع السابق، ص ٢٠٦ – ٢٠٧. ويقول في ذلك أوس بن حجر.

وأن أبا الصهباء في حومة الوغى إذا أزدرت الأبطال ليث مجرب.

أنظر ابن الأثير، المصدر السابق، ج١، ص ٣٦٧.

(١١٤) شوقي ضيف، المرجع السابق و ص٢٦٩، ٢٧١.

(١١٥) ابن الاثير، المصدر السابق، ج ١ ص ٣٨٩.

وسلبوهم ما يحملون فأشترى هوذة بن على نفسه بثلاثمائة بعير ،وقد رافقته تميم حتى "هجر" وأخذوا فديتهم، وذلك بعد يوم "الصفقة" (١١٦).

وفي يوم جبلة هزمت تميم غطفان وأسر عمرو بن عمرو بن عدس، وحاجب في زراه، ففدى حاجب بن زراة نفسه بخمسمائة من الإبل وعمرو بن عمرو بن عدس بمائتين من الإبل(١١٧).

وأسر عتيبة بن الحارث بن شهاب من بني يربوع، أنس بن عباس الأصم من بني سليم، ورغم أن قومه من بنى يربوع من بنى كلاب طالبوه بقتله، فلم يفعل طمعاً في الفداء، ففتدى أنس نفسه بمائتي من الأبل (١١٨).

كما افتدى هانى بن مسعود الشيباني ابنه من تميم بمائة رأس من الإبل في يوم مبايض(١١٩).

وفي يوم " السلان " حاول أبو براء عامر بن مالك، أسر ضرار بن عمرو الضبى طمعاً في فدائه فلما صعب عليه، طلب أن يحيله على رجل له فداء فأرشده نحو حُبيشى بن دلف وكان أسود مخيفاً دميماً ، فلما رآهكذلك ظنه عبداً ، وأن ضرار خدعه فقال: إن لله، ألا في الشؤم وقعت ! فلما سمعا حبيش منه خاف أن يقتله، فقال: أيها الرجل، أن كنت تريد اللبن فقد أصبته، وافتدى نفسه بأربعمائة بعير(١٢٠).

وأسر يزيد بن عمرو بن خويلد الصعق من بني عامر، وبره بن الكلبي أخ النعمان بن المنذر لامه حيث أعجبه لما رآه لهيئته، وذلك في يوم السلان على أثرى هزيمة جيش النعمان ابن المنذر، وعلم النعمان بذلك، فأفتدى وبره الكلبي نفسه بألف بعير وفرس، وكانت سبب في

---

(١١٦) الأصفهاني، المصدر السابق، ج ١٧، ص ٢٢٨-٢٣١؛ ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج٣، ص ٤١٣ – ٤١٤؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٧٥.

(١١٧) ابن الأثير، المصدر السابق، ج ١ ص ٣٥٧.

(١١٨) محمد أحمد جاد المولى، المرجع السابق، ص ٣٧١ – ٣٧٢.

(١١٩) ابن الأثير، المصدر السابق، ج ١ ص ٣٦٨؛ محمد أحمد جاد المولى، المرجع السابق، ص ٢٠٨-٢١٠.

(١٢٠) ابن الأثير، المصدر السابق، ج ١ ص ٣٩١؛ محمد أحمد جاد المولى، المرجع السابق، ص ١٠٧-١٠٨.

غناء يزيد بن الصعق وكان فقيراً [١٢١]،ويضيف كاستر [١٢٢]، نقلاً عن البلاذرى " أنه دفع فدية قدرها ألف جمل وجاريتين مغنيتيين، ومبلغاً من المال.

وأسرت بنى يربوع من تميم قابوس بن المنذر بن ماء السماء وعمه حساناً عندما أرادوا حربهم، لرفضهم قبول تحويل الردافة، بعد وفاة عتاب بن هرمى بن رياح إلى الحارث بن بيبة المجاشعي، بدل عوف بن عتاب لحداثة سنه، بناء على نصيحة حاجب بن زراره، فنشبت معركة بين بني يربوع، وبين جيش المنذر بن ماء السماء فنهزم جيش المنذر، وأسر ابنه وأخيه، فتصالح معهم على أن يفكوا أسر أبنه وأخيه، على أن ترد إليهم رد فاتهم، ويهدر عنهم ما قتلوا، ويبقي لهم ما غنموا، ويحمل عنهم دية من قتل منهم، ويمنحهم ألفين من الإبل، وفي ذلك يقول متمم بن نويرة:

ونحن عقرنا مهر قابوس بعدما رأي القوم منه الموت والخيل تلحب

عليه دلاص ذات نسج وسيفه جرار من الهندى أبيض مقضب[١٢٣]

ط) اعتصام الأسير:

كما عرف أسرى العرب الاعتصام وعدم الطعام والشراب حتى يطلق سراحهم أو قبول الفداء فيهم، فقد أسرآ بسطام بن قيس الشيباني، أبا مليل عبد الله بن يربوع التميمي وهو يتفقد جثه أبنه بجير الذي قتل في يوم " قشاوه " فقال بسطام لأبا مليل: يا أبا مليل؛ أني لم أخذك لأقتلك قال: لقد قتلت ابني، وودت أن أكون مكانه، أما إن طعامك على حرام ما دامت في يدك ! فكان يؤتي بالطعام فيبيت أبا مليل يطرد عنه الكلاب، مخافة أن تأكله، فيظنوا أنه هو الذي أكله حتى بلغ منه الجهد، فلما رأوا جهده قال بشر بن قيس لأخيه بسطام: إني لا آمن أن يموت أسيرك هذا في يديك هكذا ، فتسبك به العرب، فقام بسطام وعرض على أبا مليل شراء نفسه فوافق أبا مليل على أن يكون فداءه بمائة رأس من الأبل، فردها بسطام بدم أبنه بحير الذي قتل في يوم قشاوه

---

(١٢١) ابن عبد ربه، المصدر السابق، ج٥، ص١٦٠ – ١٦١؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج١، ص٣٩١–٣٩٢.

(١٢٢) كاستر، المرجع السابق، ص ٢٤.

(١٢٣) ابن عبد ربه، المصدر السابق، ج٥، ص٢٠٤–٢٠٥؛ ياقوت الحموى، المصدر السابق، ج٤، ص٢٣ ابن الأثير، المصدر السابق، ج١، ص٣٩٦؛ محمد أحمد جاد المولى، المرجع السابق، ص٩٤ (مع ملاحظة اختلاف الروايات بين التطويل والتقصير في سرد الأحداث والشعر).

فخلا سبيله بسطام بغير فداء، وأخذ منه تعهدات منها: إلا يعقب خلفه، ولا يتبعه بدم أبنه بجير، ولا يبتغيه عائلة، ولا يدل له على عورة، ولا يغير عليه ولا على قومه، وعاهده على ذلك فرجع إلى قومه وقد جز ناصيته. وفي ذلك يقول متمم بن نويره:

أبلـــغ أبـــا قـــيس إذا مـــا لقيتـــه نعامـــــــة أدنـــــــى داره فظلـــــــيُم

بأنـــــا ذوو جـــــد وأن قبـــــيلكم بنـــــى خالـــد لـــو تعلمـــون كـــريم

وأن الـــذي آلـــى لكـــم فـــي بيـــوتكم بمقســـمة لـــو تعلمـــون أثـــيم(١٢٤)

وقد يجعل الآسر مصلحته فوق مصلحة قومه خاصة فيما يتعلق بالفداء، كما كان الآسر دائماً ما برواغ بأسيره طمعاً في زيادة الفداء. فعندما أسر عتيبة بن الحارث اليربوعي، بسطام بن قيس الشيباني في يوم "الغبيط "، فحاولا بني ثعلبه بن يربوع، أن يجبروا عتيبة على قتل بسطام بن قيس فرفض عتيبة قائلاً : أني معيل، وأنا أحب اللبن قالوا: إنك لتفاديه وتخلى عنه فيعود فيحر بنا.. فأبى. وتذكر الرواية أن عتيبة خشى أن يؤخذ منه عنوة ويقتل، فسار به إلى بنى جعفر بن كلاب عند بن عامر بن صعصعة، وقيل أن بسطام أراد الإجارة من عمرو بن الطفيل خفيت، فعلم بذلك عتيبة فأرسل إلى عامر بن الطفيل يخيره بين ثلاث ليسلم له بسطام بن قيس، فإما أن يخلع عليه ماله كله، أو أن يؤسر مكانه، أو أن يخرج خلف عتيبه فيأخذه عنوة، فكف عمرو بن الطفيل عنه بينما هو سائر به نحو عمرو بن جندب، شاهد بسطام بن قيس، ركب أم عتيبة فسأله عنه، فعرف أنه لأم عتيبة' فوصف بسطام هودج أم عتيبة بالرث، فقال له عتيبة: ألك أرث ؟ قال نعم. قال عتيبة: أما واللات والعزى؛ لا أطلقك حتى تأتيني أمك بكل شيء ورثك هو قيس بن مسعود وبجملها وحدجها (هودجها)،

فأتته أم بسطام على جملها وحدجها، وبثلاثمائة بعير وفدى بسطام نفسه بها، على أن يجز ناصيته ويعاهده إلا يغزو بنى شهاب، فأطلق سراحه وقال عتيبة في أسر بسطام بن قيس الشيباني.

أبلـــغ ســـراة بـــن شـــيبان مالكـــه أنـــــي أبـــــات بعبـــــد الله بســـــطام

أن تحـــزروه بـــذى قـــار فذاقنـــة فقـــد هبطـــت بـــه بيـــداً وأعلامـــا

(١٢٤) ابن الأثير، المصدر السابق، ج١، ص٣٦٤؛ محمد أحمد جاد المولى، المرجع السابق، ص ٢٠٢ – ٢٠٣.

قـــاظ الشـــربة فـــي قيـــد وسلســـلة صـــوت الحديـــد يغنيـــه إذا قامـــا[١٢٥]

ويرى بن عبد ربه الأندلسي [١٢٦]، أن فدائه كان بحوالي أربعمائة بعير وثلاثين فرس، وأنه لم يكن عربي عكاظي أعلى فداء منه [١٢٧]. ويضيف ابن الأثير [١٢٨]، أن بسطام بعد أن خلص من الأسر أذكى عيونه على عتيبة وإبله، فعادت إليه عيونه فأخبروه أنها قريبة منه، فأغار عليها وأخذ الإبل كلها، وما لعتيبة معها.

ي) الاختصام على الأسير:

وقد يقع التخاصم على الأسير بين أكثر من آسر، ففي يوم " زرود " أسر خزيمة بن طارق من بنى تغلب، من قبل بني يربوع من تميم، وأختصم في أسره اثنين، انيف بن جبلة الضبى، وأسيد بن حناء السليطى، فاختصما إلى الحارث بن قراد من بنى رياح بن يربوع فحكم، أن جز ناصيته لا نيف، وأن يدفع لأسيد مائة من الإبل، فرضيا بذلك [١٢٩]،وفي روايا أن خزيمة بن طارق فدى نفسه بمائتي من الإبل وفرس [١٣٠]،فقال نيف في ذلك:

أخـــذتك قســـراً يـــا خـــزيم بـــن طـــارق ولاقيـــت منـــى المـــوت يـــوم زرود

وعانقتـــه والخيـــل تـــدمى نحورهـــا فأنزلتـــه بالقـــاع غيـــر حميـــد

وفي يوم " ذي طلوح "، أسر الحارث بن شريك الشيباني، من قبل حنظلة بن بشر وكان نقيلاً في بنى بشر فأختصم كل من عبد الله بن الحارث وعبد عمرو بن سنان، فقال لهم الحارث بن شريك الأسير: حكموني في نفسي " والله لا أخيب ذا حق " فحكموه، فأعطى عبد الله بن

---

(١٢٥) ابن الأثير، المصدر السابق، ج١، ص٣٦٥؛ محمد أحمد جاد المولى، المرجع السابق، ص ١٩٧ – ٢٠٠.

(١٢٦) ابن عبد ربه، المصدر السابق، ج ٥، ص ١٧٤.

(١٢٧) يرى بعض المؤرخين أن عربي لم يكن أعلى من بسطام فداء. انظر محمد أحمد جاد المولى، المرجع السابق، ص ٢٠٠. وقيل أن الأشعث بني قيس الكندي غزا مزحجاً فأسر ففدى نفسه بألفي بعير وألف من الهدايا والطرف قال الشاعر.

فكان فداوه ألفي بعير وألف من طريفات وتلد

انظر أحمد محمد الحوفي، المرجع السابق، ص ٢٧٠.

(١٢٨) ابن الأثير، المصدر السابق، ج١، ص ٣٦٥.

(١٢٩) محمد أحمد جاد المولى، المرجع السابق، ص ١٨٢.

(١٣٠) ابن عبد ربه، المصدر السابق، ج ٥، ص ١٦٨.

الحارث مائة من الأبل، وكذلك أعطى عبد عمرو مائة من الأبل، وجعل ناصيته لحنظلة بن بشر، فرضى الجميع [١٣١].

وقد يشترى الأسير من آسره ويطلق سراحه، كما فعل حاتم الطائي، عندما مر في سفره بقبيلة (غنزه) وفيهم أسير فأستغاث بحاتم، ولم يحضره فكاكه، فاشتراه من العنزيين، وأطلقه، وأقام مكانه في قيده حتى أدى فداءه [١٣٢].

وفي مجال أخر، فقد لا يفي الأسير بعد إطلاق سراحه بتعهده لدفع الدية، فقد أسر بسطام بن قيس، الأقرع بن حابس وأخيه فراس، ثم أطلقهما بعد أن أفتدى نفسيهما وعاهداه على إرسال الفداء، فلم يرسلا شيئاً [١٣٣].

ك) تبادل الأسرى:

وقد يكون الفداء في شكل تبادل للأسرى فعندما أسرة بنو شبابه بن فهم بن عمرو الشنفري الأزدي، ولم يزل فيهم حتى أسرت بنو سلامان بن مفرج بن عوف الازدى، رجل من فهم، ففدته بالشنفري [١٣٤].

ل) فداء الأسير بالقتال:

وتنبغي الإشارة إلى أنه قد تجبر بعض القبائل أو بعض الأفراد إلى القتال من أجل إطلاق الأسير، كما كان في يوم " حزار " بين معد ومذحج فقد كان لدى أحد ملوك اليمن أسرى من مضر وربيعة وقضاعة، فوفد إليه وفد من وجوه معد، لفك الأسرى، فما كان من ذلك الملك إلا أن أحتبس بعض رجال الوفد كرهائن، حتى يحضروا رؤساء إلا أقوامهم لأخذ منهم المواثيق بالطاعة، وخيروهم بين ذلك أو قتل الرهائن، فاجتمعت معد على كليب بن وائل وجعلوا على مقدمتهم سلمه بن خالد الملقب بالسفاح التغلبي، فاجتمعت عند جبل حزار وكذلك كانت القبائل

---

(١٣١) ابن عبد ربه، المصدر السابق، ج ٥، ص ١٦٩ باختصار؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج١، ص ٣٨٩؛ محمد أحمد جاد المولى، المرجع السابق، ص ١٨٧

(١٣٢) ابن عبد ربه، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٥٣.

(١٣٣) ابن الأثير، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٦٦.

(١٣٤) الأصفهاني، المصدر السابق، ج ٢١، ص ١٢٨؛ أحمد محمد الحوفي، المرجع السابق ص ٢٧٠.

اليمنية فاقتتلواقتالاً شديداً ، وأكثروا القتل فيما بينهم، وانهزمت القبائل اليمنية، وأطلقت معد أسراهم [١٣٥].

وفي يوم " الزوريين " أسر حراث بن مالك من بكر، على يد رجل من تميم فأردفه خلفه، وركض به، فلحق به أبنه قتادة بن حراث، حتى لحق بالفارس آسر أبية فقتله، واستنقذ أباه [١٣٦]. كما تذكر الروايات أن يزيد بن عبد المدان طلب من قيس بن عاصم أحد شيوخ تميم أن يطلق سراح الهوازني الذي أسر في أحدى حروب قيس، وخيرة بين أطلاق سراحه أو غزوة، وانتهى الأمر بأن أطلق سراح الهوازنى بمائة ناقة مع رعاؤها [١٣٧].

الخاتمة:

ويمكننا من خلال هذه الدراسة أن نستخلص النتائج التالية:

أولاً : حفلت كتب الإخباريين العرب بأحاديث شيقة وهامة في الأسر عند العرب قبل بعثة المصطفى صلى الله عليه وسلم.

ثانياً : أن معظم أخبار الأسرى عند العرب هو ما تضمنته كتب التاريخ والأدب العربي عن أيام العرب، والشعر الجاهلي.

ثالثاً : تفاخر العرب بأخذ الأسرى، واعتبر بعضهم ذلك نوع من الغنيمة ؟

رابعاً : تنوعت معاملة العرب للأسرى ما بين القتل، والتعزير، والقيد في الأغلال والامتهان، وتسخيرهم كالعبيد، أو الإحسان عليهم في بعض الأحيان.

خامساً : كان للمنزلة الاجتماعية دورها في معاملة الأسرى، وأن بعض وجهاء القوم وفرسانهم – يرفضون الأسر لمن هو أقل منهم في الشرف والمكانة.

سادساً : كان بعض وجهاء القوم وفرسانهم، يفضلون الموت على أن يقعوا في يد آسر فتعيبهم العرب.

---

(١٣٥) ابن عبد ربه، المرجع السابق، ج٣، ص ٣٦٤؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج١، ص ٣١٠-٣١١؛ ياقوت الحموى، المصدر السابق، ج ٣، ص ٤٢٨

محمد أحمد جاد المولى، المرجع السابق، ص ١٠٩؛ جواد علي، المرجع السابق، ج٥، ص ٣٥٠.

(١٣٦) ابن عبد ربه، المصدر السابق، ج ٥، ص ١٨٢؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج١، ص٣٦٨.

محمد أحمد جاد المولى، وآخرون، المرجع السابق، ص ٢١٢ – ٢١٣ .

(١٣٧) محمد أحمد جاد المولى، قصص العرب (بيروت، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٦م)، ج ١، ص ١٣٢.

سابعاً : عادة ما يبحث الآسر، عن أسير يكون صاحب جاه ومال طمعاً في فدائه

ثامناً : قد يقع الأسر على الرجل دون حرب.

تاسعاً : تنوعت سبل إطلاق الأسير ما بين العفو والمن، أو جز النواصي،أو بالمال، أو بالاثنين معاً .

عاشراً : قد يتمكن الأسير من الفرار دون الفداء، بالخدعة أو بالهروب.

الحادي عشر: لعب الخيل دوراً في المقايضة لفداء الأسير، إلا أن الإبل كان هو الأهم.

الثاني عشر: كان للمكانة الاجتماعية أثرها في فداء الأسير، وخاصة أصحاب الجاه والمال والفرسان.

الثالث عشر: كان للشعر والشعراء أثر واضح في إطلاق سراح الأسير ما بين مادح لآسر أو هاج يضر فيه الآسر على إطلاق أسيره تقديراً لمدحه، أو خشية الهجاء.

الرابع عشر: حظيت المرأة بدور في تشفعها وإجارتها للأسير وإطلاق سراحه.

الخامس عشر: عرف الأسير العربي الاعتصام حتى ينال حريته أو يهلك.

السادس عشر: عرفت العرب تبادل الأسرى في حروبهم.

السابع عشر: قد تجبر القبائل أو الأفراد إلي خوض القتال من أجل إطلاق أسراهم.

المصادر والمراجع

أ- المصادر والمراجع العربية:

- ابن الأثير، أبي الكرم علي بن محمد الشيباني، الكامل في التاريخ، الطبعة الثالثة، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.
- ابن عبد ربه، أحمد بن محمد الأندلسي، العقد الفريد، تحقيق وتعليق، بركات يوسف هبود، الطبعة الأولى، دار الأرقم بن الأرقم، للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- أحمد أمين، فجر الإسلام الطبعة ١٣، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٢م.
- أحمد محمد الحوفي، الحياة العربية من الشعر الجاهلي،الطبعة الرابعة، دار القلم، بيروت، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م.
- إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق، أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.
- الأصفهاني، أبي الفرج علي بن الحسين، الأغاني، تحقيق، إحسان عباس وآخرون، الطبعة الثانية، درا صادر، بيروت، ١٤٢٥هـ -٢٠٠٤م.
- الألوسي، محمود شكري، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، شرح محمد بهجة الأثري، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.
- توفيق برو، تاريخ العرب القديم، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- الجاحظ، أبو عثمان بن عمرو بن حجر، الحيوان، تحقيق، عبد السلام هارون، ط ١، دار أحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ
- جرجى زيدان، العرب قبل الإسلام، دار الهلال، القاهرة.
- جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين بيروت، مكتبة النهضة بغداد، الطبعة الثانية، ١٩٧٦م.
- الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، صفة جزيرة العرب، دار تهامة، الرياض، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

- السيد عبد العزيز سالم، دراسات في تاريخ العرب " تاريخ العرب قبل الإسلام " مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، الأسكندرية، د.ت.
- شكران خربطلي، سطور منسية في تاريخ الحجاز (الحياة الاجتماعية في الحجاز في الحجاز قبيل ظهور الإسلام " القرن السادس "، دار ارسلان، دمشق، ٢٠٠٥م.
- شوقي ضيف، العصر الجاهلي، الطبعة الثامنة، دار المعارف ١٩٧٧.
- عبد الحميد حسين حمودة، تاريخ العرب قبل الإسلام، الدار الثقافية للنشر، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦ م.
- عبد الله عبد الجبار، محمد عبد المنعم خفاجة، قصة الأدب في الحجاز العصر الجاهلي، الطبعة الأولى، دار مصر للطباعة، القاهرة، ١٩٥٨م.
- عمر فروخ، العرب في حضارتهم وثقافتهم، الطبعة الثانية دار العلم للملايين، ١٩٨١م.
- لطفي عبد الوهاب يحيى، العرب في العصور القديمة – مدخل حضاري في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٩م.
- محمد أحمد جاد المولى بك وآخرون، أيام العرب في الجاهلية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بدون تاريخ.
- محمد أحمد جاد المولى وآخرون، قصص العرب، المكتبة العصرية، بيروت ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٦م.
- محمد الخطيب، المجتمع العربي القديم، دار علاء الدين، دمشق، ٢٠٠٥م.
- محمد محمود جمعه، النظم الاجتماعية والسياسية عند قدماء العرب والأمم السامية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٩٩م.
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، الطبعة الثالثة.
- ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، الطبعة الرابعة، دار المعارف، مصر، ١٩٦٩م.
- ياقوت الحموي، معجم البلدان، تحقيق فريد الجندي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠هـ.

ب- المراجع المعربة :

- م. ج. كستر، الحيرة ومكة وصلتها بالقبائل العربية، ترجمة يحيى الجبوري، جامعة بغداد، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.